مجلة الهند

مجلة فصلية

المجلد: 1 العدد: 3

عدد يوليو – سبتمبر 2012م

مدير التحرير

د. أورنك زيب الأعظمي

نائب مدير التحرير

مهدي حسن القاسمي

تصدر عن

أكادمية كيشالايا، بنغال الغربية، الهند

الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند
(القسط الأول)

- أ. د. سعد محمد حذيفة الغامدي

تمهيد:

بعث الله محمداً، ﷺ، إلى الناس كافة، بكتاب منزّل، فصّلت أياته من لدن حكيم عليم، والدليل على بعثه، ﷺ، آيات قرآنية تحويها سور في الكتاب، الذي لا يأتيه الباطل، حيث قال الله تعالى "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً..."[1] وفي خلال القرن الأول لهجرته، ﷺ، وصلت دعوة الحق إلى حدود الصين شرقاً وإلى المحيط الأطلسي وجبال البرانس وجنوب فرنسا غرباً، حيث أوصلها الرجال الأشاوس، كخالد، وسعد، وأبي عبيدة، وعقبة، وموسى بن نصير، وقتيبة، ومحمد ابن القاسم، فرضي الله عنهم أجمعين وأرضاهم، وأثابهم ثواب المجاهدين الصادقين. فقد كانوا رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وما بدلوا تبديلاً.

لقد بُحِثَتْ فتوحات أولئك القادة الغرّ الميامين، شرقاً وغرباً، بنوع من التفصيل، وبشكل أو بآخر، في مصادر ومراجع تاريخنا التي كتبت باللغة العربية. ومع ذلك فقد وجدت أن هناك ثغرة كبيرة فيما يتعلق بفتوحاتهم في الأراضي التي عرّفها جغرافيونا ومؤرخونا بـ"بلاد الهند والسند "، لذلك عقدت العزم، متوكلاً على الله الحي الذي لا يموت، فكتبت هذا البحث المتواضع، لعله يكون باكورة لمجموعة من البحوث المتتالية، عن الفتوحات الإسلامية في "شبه قارة الهند والسند".

إن فتوحات محمد بن القاسم في "بلاد الهند والسند" لم تُطرق، لا في مصادرنا ولا في مراجعنا العربية إلا في شكل سرد الأحداث، في كلام عائم وعادي؛ فلم يورد هذا المصدر أو ذاك المرجع، تحديداً لأسماء مدن، أو أماكن، أو أسماء

[1] سورة سبأ: 28

أشخاص مع شرح لهذه الشخصية، وأهميتها من عدمها. لذلك فقد فات، على ما يبدو لنا، على من كتب في هذا الموضوع في مصادرنا الإسلامية، التي كتبت باللغة الفارسية، والتي يكاد بعضها أن يكون معاصراً للأحداث، كمئولف "شش نامة". إضافة إلى مصادر هامة أخرى، وردت في طيات بحثنا، في هذا الشأن، بالإضافة إلى أن مصادرنا ومراجعنا العربية، لا تكاد تضع تاريخاً محدداً لفتح هذه المدينة، أونشر الإسلام لتلك المنطقة، أو اقتحام قلعة معينة، وإنما يورد أصحابها كلاماً وسرد أحداث، دون تحديد لتواريخ أو لسنوات وقوعها. لذلك فقد حاولت، بجهد المقل، وبعد الاطلاع على مصادر ومراجع جديدة ذات صلة بالموضوع، أن أحدِّد مواقع المدن والقلاع، وأعرّف أسماء الشخصيات الواردة في فتوحات محمد بن القاسم في "بلاد الهند والسند".

وحسبي أنني في رأيي قد أديت بعض الواجب تجاه أمر رأيتُ أن أنوه إليه، والله من وراء القصد، وهو يتولى الصالحين، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

مقدمة تاريخية وجغرافية

موقع "بلاد السند والهند" وحدودها:

عندما ننطق أو نسمع جملة "بلاد السند والهند" فإن تصور المرء وذهنه منا يتجهان إلى ما يعرف بـ"شبه القارة الهندية" أي إلى تلك الأرضي التي تتكون منها في الوقت الحاضر جمهوريتا "الهند، والباكستان"، إضافة إلى أراضي جمهورية "بنغلادش" والتي كانت ضمن الجمهورية الأخيرة. وكما نعرف جيداً فإن التقسيم الجغرافي، والسياسي الذي أضحت عليه بلاد "السند والهند" في الوقت الحاضر، وبهذه الصورة، لم يتم إلا على أيدي المستعبد البريطاني، عندما قام بتقسيم هاتيك البقاع بين المسلمين، وغير المسلمين،عشية جلاء البريطانين عن تلك الديار. إن ذلك التقسيم لهو أبعد ما يكون عن العدالة، فلم يخدم السكان عامة، والمسلمين بشكل خاص. وكلنا نعرف أن بريطانيا جلت عن "شبه القارة الهندية" أو بالآحرى "شبه القارة الهندية الباكستانية" (The Indo- Pakistan Subcontinent) إن صح لنا التعبير، في عام 1366هـ/1947م. وبذلك استقل مواطنو "بلاد السند والهند" بشؤنهم عن المستعبد الإنجليزي، ولكن بعد أن قسمت أراضيهم بين المسلمين وغير المسلمين، بشكل عام، فأعطي المسلمون ما يعرف اليوم بـ"باكستان وبنغلادش". وهذه، على ما يبدو لنا، سياسة حاقدة، من البريطانين، على

الإسلام والمسلمين، ففرّقت شملهم، وهدرت طاقاتهم، وأعادت أكثر من ثلاثة أرباع مساحة "شبه القارة الهندية الباكستانية" لغير المسلمين، وبذلك حصرت مسلميها في مساحة تقل عن ثلث المساحة العامة لهذه البلاد الواسعة، والقارية الاتساع. وبالرغم من هذا فلم تكتف بذلك التقسيم الجائر، بل جعلت المسلمين قسمين عرفا إلى عهد قريب "باكستان الشرقية والغربية". وفي عام 1391هـ/1971م انفصل الشطر الشرقي عن نظيره الغربي، وأضحى الأول يعرف الآن بـ"جمهورية بنغلادش الإسلامية" والثاني "جمهورية باكستان الإسلامية" وهذا وذاك خارجان عن نطاق بحثنا هذا.

أما موقع شبه هذه القارة فإنه يحتل القسم الجنوبي من قارة آسيا، وهي أكبر قارات العالم المسكونة، كما نعرف؛ وتقع بين درجات الطول والعرض التقريبية التالية، حيث تحدها درجتا الطول من الشرق والغرب على التوالي، 97 و60، ودرجتا الغرب، من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب على التوالي، 1/2 36 و8 كما تحدّها من الشمال أراضي نيبال، وجمهورية الصين الشعبية، ومن الجنوب خليج البنغال وجزر سرنديب (سيلان أو سيريلنكا) والبحر العربي ومن الشرق بورما، ومن الغرب أراضي أفغانستان، وإيران.

أما ما يتعلق بحدود أراضي "وادي نهر السند"[1]، وهي ما فتحه العرب المسلمون، في العهد الذي عرف بـ"عصر الفتوحات الإسلامية" فإن ما عرف به سابقاً يختلف عما هو معروف به في الوقت الحاضر[2]. فإذا كانت مقاطعة السند الحالية لا تشمل سوى أراضي وادى نهر السند السفلى، فإن هذا الأمر

---

[1] إذا كانت "مصر" "هبة النيل" فإن أراضي "إقليم وادي السند" "هبة نهرها الكبير"، والذي تسمّيه، مصادرنا العربية والإسلامية ومعاجمها الجغرافية بـ"مهران" وقد نسب جميع الوادي، من شماليه إلى جنوبيه باسم النهر، فبدون هذا النهر لا يمكن أن تعيش أرضه، فهو مصدر حياتها. لمعلومات أوفى في هذا الخصوص، انظر: تاريخ وحضارة السند، ص 1 وبعدها؛ ومن المعاجم الإسلامية انظر: كتاب مسالك الممالك، ص 180؛ وكتاب صورة الأرض، ص:274 - وبعدها

[2] العصر الذي عرف في التاريخ بـ"عصر الفتوحات الإسلامية" يمكن تحديده تقريباً من خلافة الفاروق، رضي الله عنه، حتى معركة بلاط الشهداء، أيام بني أمية، ومع ذلك فقد أجيز لنفسي أن أدعي أن عصر بني أمية، يمكن إدخاله في الإطار العام لذلك العصر، على اعتبار أن الفتح لم يتوقف، على الأقل من حيث التفكير فيه، أو الاستعداد له، حتى أن آخر خلفاء بني أمية، مروان بن محمد (127-132هـ/744-750م) قاد الجيوش و تصدّى بل توغل في أراضي الدولة البيزنطية.

يختلف تماماً عنه في السابق، أيام فتح المسلمين لهاتيك الربوع[1]. فأراضي "وادي السند" أيام الفتح الإسلامي، تشمل مقاطعات ثلاث، هي: السند، والبنجاب، والحدود الشمالية الغربية في الباكستان، طبقاً لما أوردته مصادرنا التاريخية الإسلامية الأولى، وكذلك بعض كتب المعاجم الجغرافية الإسلامية، وما يفهم من بعضها الآخر[2].

سكان الهند والسند

لم يسعفني الحظ، لا من خلال قراءاتي البسيطة، ولا من خلال سفراتي القليلة، أن أطلع على معلومات تشير إلى أنّ أحداً من سكان "شبه قارة الهند والسند"، قد هجر موطنه إلى غيره من المواطن أو الأقاليم الأخرى البعيدة في شكل جماعات، بل على العكس فإننا نجد أن الهجرات كانت تأتي من الخارج إلى "أراضي الهند والسند".

فعلى الرغم من أن شبه القارة هذه تكاد تكون محاطة بالمياه من جهاتها الثلاث[3]، إلا أن الهجرات البشرية كانت تأتي إليها، منذ مئات السنين قبل الهجرة النبوية الشريفة، إلى العصر الحديث، عن طريق البر، وخاصة من الشمال، والشمال الغربي، كذلك كانت تأتيها من البحر، وخاصة من قدم إليها عن طريق البحر العربي، من جهاتها الغربية.

وقد جاءت هاتيك الهجرات إلى "الهند والسند" لسبب أو لآخر، وبشكل خاص في حملات عسكرية؛ فاستوطن المهاجرون أرضها، وتزوجوا من نسائها، وامتزجوا بالسكان المحليين والسابقين لهم في الهجرة إلى هذه الأراضي، فأصبحوا جزءاً لا يتجزأ منهم. وبذلك أضحى السكان فيها مزيجاً يحيوي

---

[1] تقع حدود "ولاية السند" الحالية، ضمن نطاق أراضي الوادي السفلية، فيحدّه من الشمال بهكر (Bahkkar) إلى كراتشي جنوباً، ومن الغرب كيرثر (Kirthar) ومن الشرق صحراء ثر (Thar). تاريخ و حضارة السند، ص:2

[2] أورد، على سبيل المثال، حمد الله المستوفي القزويني، في معجمه "نزهة القلوب" (ترجمة: المستشرق لو سترينج)، ص:252، ضمن حدود "أراضي وادي السند" كلاً من "مدينة المنصورة" فى الجنوب، و"مدينة لاهور"، في الوسط، و"مدينة بشاور"، في الشمال. ومعروف أن الأولى تقع في "مقاطعة السند"، والثانية في "مقاطعة البنجاب"، بينما تقع الأخيرة في مقاطعة الحدود الشمالية الغربية لدولة الباكستان الحالية، وهناك بعض المصادر، تاريخية، وجغرافية، تجعل "مدينة الملتان" وهي في الأراضي الوسطى للسند، داخل الإطار العام لهذا الوادي، فتجعلها ضمن مدن "بلاد السند". انظر، على سبيل المثال، "مسالك الممالك"، ص 173-174

[3] من الجنوب، والجنوب الشرقي، والجنوب الغربي

أخلاطاً كثيرة من البشر، بالرغم من أن غالبيتهم من سكان أواسط آسيا، وكذلك من أوروبا، متعددو الأديان، كثيرو اللهجات، متباينو الأصول والموطن.
كان أغلب القادمين إلى أراضي "الهند والسند" يأتون، منذ أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة سنة قبل الهجرة النبوية الشريفة (أربعة آلاف سنة ونيفٍ قبل الميلاد) في شكل جماعي، إما في صورة حملات عسكرية أو في هيئة جماعات مستوطنة سلمياً، حيث تبدأ تستوطن الجهات الشمالية البعيدة في سهول شمال شرق إيران، ومرتفعات أفغانستان الحاليتين، ثم تتدرج في انحدارها شيئاً فشيئاً إلى الأعماق الداخلية من الجهات الجنوبية، والجنوبية الشرقية، والجنوبية الغربية.
بناءً على ذلك، نجد أن سكان شبه قارة "الهند والسند" أضحوا مزيجاً من سكان قارة آسيا، فهناك الجنس الصيني المغولي، والممتزجون بالعنصر التركي، والإيراني التركي، والتركي الذي دخل من جهاتها الغربية، والذي اختلط مع العنصر البشري الذي يقطن أطراف قارة أوروبا من جهاتها الشرقية، ثم يجب ألا نسى العنصر العربي، الذي قدم من الغرب والجنوب الغربي، فأصبح لدينا عنصر عرف، مع كثير من التجاوزات، بمصطالح "العنصر الآري"، وإن كان هذا الاسم غالباً يطلق على العناصر البشرية التي كانت تهاجر، من وقت إلى آخر، إلى "بلاد السند والهند" قادمة من أواسط قارة آسيا وبذلك أضحى سكان "السند والهند" مزيجاً من البشر، عرف هذا المزيج بعنصر جديد هو "الهندي الآري" (Indo-Aryans).
على الرغم مما ذكر أعلاه فإن الأستاذ الدكتور نترجن Prof. Natarajan يقول بأنه لا يعلم بالتحديد أين الموطن الأصلي للآريين، وإن ما يورده المؤرخون، في هذا الخصوص ما هو إلا أمر خلافي، ولا يمكن، بأي حال من الأحوال، الوصول معه إلى نتيجة محددة. ومع ذلك فإنه يصل إلى النتبجة المعروفة من أن "الآريين" قوم خارجيون، جاؤوا إلى "الهند والسند"[1]. أما سيد لطيف، فقد حدّد الموطن الأصلي للآريين بأنه مناطق وسط قارة آسيا، هاجروا إلى الأقطار شرقاً وغرباً، وعبرت إحدى فرقهم المهاجرة إلى "شبه قارة الهند

[1] "مجتمع وديانة العصر الفيدي" نشر في "خط عام لتاريخ حضارة الهند"، ص:14-15

والسند" من خلال ممر خيبر، في كابل، كما حدّد أول مستوطنة لهم بأنها "برهمان فرته" (Brahman Varta)[1].

أما فترة هجرات الآريين القادمة من الشمال إلى أرض "الهند والسند" فقد حددت بالفترة المعروفة بـ"العصر الفيدي" أو "الفترة الفيدية" أي ما بين عامي 2622-1200ق. هـ/ 2000-600ق . م[2]. ثم تلاها هجرات من الشمال أيضاً، عرف باسم "السيثيون" وهم أصل العناصرالطورانية، وذلك في الفترة التالية، أي ما بين عامي 1200-949 ق.هـ / 600-327 ق. م. وقد قيل بأن هؤلاء الأقوام هم أصل "الجات" أحد عناصر سكان "شبه القارة الهندية السندية" حالياً[3] ومهما يكن الأمر فقد كانت ممرات جبال هندوكش، الشاهقة، هي المعبر الرئيسي لتلك الهجرات، وخاصة تلك القادمة من أواسط وغرب آسيا بشكل خاص منذ العصور القديمة، إما في مجموعات سلمية، وإما في شكل حملات عسكرية، كما قلنا آنفاً، وهذه الأخيرة هي الظاهرة من تلك الهجرات، كما كانت عليه هجمات أقوام أواسط آسيا السابقة الذكر[4].

من الحملات العسكرية القديمة، والتي تعرضت لها أراضي "الهند و السند"، حملة الإسكندر المقدوني في حوالي عام 949 ق. هـ/327 ق.م وقد قدم هذه الحملة إلى أراضي إيران، وذلك بعد أن اكتسح الإسكندر المقودني أراضي

---

[1] وتعني "الأرض المقدسة" حيث تقع هذه المستوطنة، حسب قول سيد محمد لطيف، "لاهور؛ تاريخها، آثارها الباقية وعصورها السحيقة"، ص:365-366 بين نهري سرسوتي في ثينسر، وغكّر في ولاية آمبلة.

[2] "الفيدية" نسبة إلى "الفيدا" و هي الكتب الهندوسية الأربعة، التي تنتمي إليها الطبقات الأربع التالية، التي هي روح هذه الديانة الطبقية:

أ – طبقة البراهمين، وهم رجال الدين الرهبان

ب ـ الشتريّون، وهم طبقة المحاربين ورفاق الملوك (العسكريون)

جـ ـ السودراس، وهم طبقة الخدم، العبيد

انظر، المرجع السابق، ص: 366. ولمعلومات عن مناطق سكنى القبائل المهاجرة شمال "بلاد الهند والسند" راجع: "مجتمع وديانة العصر الفيدي" نشر في "خط عام لتاريخ حضارة الهند"، ص 15 وبعدها، وكذالك: التيارات الدينية الحديثة في الهند الهندوسية، المصدر السابق نفسه، ص 271 وبعدها. لقد فصّل، أبو الريحان البيروني عن هذا المصدر انظر: الحاشية رقم: 29 تحت عن طبيعة الديانة الهندوسية في الفصل الثاني لمجلد الأول، ص 32 و ما بعدها في هذا الفصل، حيث جعلت هذه الديانة مجتمعها طبقات سبعاً.

[3] لاهور؛ تاريخها، آثارها الباقية وعصورها السحيقة ، ص: 367 كذلك حاشية رقم: 39

[4] انظر الحاشيتين السابقتين

إمبراطورية داريوس[1]. ومع ذالك، وكما يبدو لنا، لم يكن لتلك الحملة آثار كبيرة، كغيرها، على مجتمع "الهند والسند"، في نواحي حياته السياسية والثقافية والاجتماعية. فيظهر لنا أنه كما جاء الإسكندر بقضه وقضيضه، بسرعة واستمر في عملياته العسكرية ضد أراضي شبه تلك القارة، من الجهات الشمالية ثم انحداره مع مجرى "نهر السند" جنوباً، قرابة سنتين، فقد غادرها بالسرعة التي قدم بها، وهي على حالها نفسه الذي كانت عليه. فقد رفض جنود الإسكندر، التقدم إلى ما وراء "نهر السند" رفضاً قاطعاً، وألقوا أسلحتهم، وآثروا العودة إلى ديارهم في شرق أوروبا. ولذلك فقد انحدر بقواته بمحاذاة "نهر السند" حتى وصل إلى مصبه، في البحر العربي، وغادر أرض "الهند والسند" في فرقتين، بحرية، ركبت البحر العربي ثم الخليج إلى العراق، وأخرى سارت بمحاذاة الساحل الإيراني[2].

بعد حملة الإسكندر جاءت موجات طورانية أخر من الشمال، خلال الفترة ما بين عامي 722-522ق هـ/ 100ق م-100 ميلادي، غازية شمال "الهند والسند" وخاصة شمال الإقليم الأخير، وهو ما يعرف اليوم بـ"ولاية البنجاب" في الباكستان. ومع ذلك فقد استطاع السكان المحليون طردهم منها، ولكن لفترة، ولو أنها ليست بالقصيرة، إلا أنهم عادوا بعدها فاحتلوا البلاد خلال الفترة بين عامي 322-222ق. هـ/ القرنين 3 و4 الميلاديين، عندما هاجم أكاسرة الفرس المنطقة، ثم جاءت بعدهم قبائل الهون البيض، ثم الفرس، الذين كان أكاسرتهم يغزون هذه الأراضي كلما اطمأنوا إلى أمن إمبراطوريتهم من الغرب. ثم جاءت فترة الفتح الاسلامي، خلال مراحله التاريخية المعروفة[3].

---

[1] كان الصراع بين الشرق والغرب قائماً وقد تزعم الفئة الأولى، بشكل عام، إمبراطورية الفرس، والفئة الثانية، الرومان المقدونيون بشكل خاص، فقد بلغت قوى الأكاسرة أيام داربوس الكبير في أواخر القرن الثاني عشر ق. هـ/السادس ق.م. وقوى الأخيرين أيام الإسكندر المقدوني، الذي اجتاح إمبراطورية فارس، أيام داربوس الثالث في النصف الأخير من القرن العاشر ق.هـ/الثالث ق.م. انظر: فارس والإغريق في ثنايا كتاب "تاريخ الإمبراطورية الفارسية"، ص:505 وبعدها، ثم ص: 519 وبعدها؛ حيث دخل الإسكندر عاصمة فارس "برسيوليس" (Persepolis) لمعلومات إضافية عن غزوة الإسكندر، ومعاركه في إيران والشرق عموماً وخط عودته، انظر: تاريخ باكستان91/1 وبعدها

[2] تاريخ الهند، 59/1

[3] تعاقبت أسر إسلامية، من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، على الحكم في شبة قارة "الهند والسند" كالغزيويين، والغوريين، ودولة المماليك في دهلي وهكذا أسرة إسلامية تعقب أخرى، حتى جاء المغول، وظلوا يحكمون في هاتيك الديار حتى أنهى البريطانيون الحكم الإسلامي بها. كل

وقد ظل المسلمون يحكمون في أراضي "الهند والسند" إلى أن جاء المستعبد البريطاني فقضى على حكمهم بها، وظل يحكمهم من عام 1275 هـ/ 1857م إلى عام 1366هـ/ 1947م. حيث كان عنصراً جديداً كغيره من العناصر الأخرى الوافدة إلى "بلاد الهند والسند".

لغة أهل الهند والسند

كانت اللغة التي يتكلم بها ساكنو "شبه قارة الهند والسند" هي اللغة السنسكريتية"، وهي، كما نعلم، المصدر الرئسي للغات الشعوب الأوروبية، وشعوب جنوب وجنوب شرق آسيا، ثم جاءت لغات أخر، مع هجرات جديدة من الشمال والغرب، مثل العربية والفارسية القديمة والحديثة والأردية، والأوروبية كالبرتغالية والإنجليزية. بناءً على ذلك، فقد تشعبت، مع مرّ الزمن، من هذه اللغات، لغات متعددة، حتى أصبح في "الهند والسند" في الوقت الحاضر، قرابة خمس عشرة لغة، معترف بها رسمياً، ومئات من اللغات القومية، وأعداد لا تكاد تحصى من اللهجات المحلية، لدرجة أصبح المرء من الشمال أو من الجنوب أو من الشرق أو من الغرب، يذهب إلى جزء آخر فيجد نفسه غريباً، ليس في لغته، بل وفي مجتمعه، وملبسه، ومطعمه. وهذا الأمر شاهدته في آخر سفرة لي إلى هاتيك الأراضي العجيبة الأطوار، وذات الأمور الغريبة[1].

المعتقد الديني لأهل "الهند والسند"

إذا كانت لغات أهل "الهند والسند" متعددة، كما رأينا أعلاه، فإن المعتقدات الدينية، المنتشرة في أوساط سكان هاتيك البلاد، هي الأخرى كثيرة. ومع ذلك فإن أهم ما يدين به سكان هناك الإسلام، والبرهمانية الهندوسية، والبوذية،

أسرة من تلك الأسر الإسلامية ضربت بسهم وافر في سبيل توسيع وقعة المساحة الإسلامية على شبه القارة تلك.

[1] كانت زيارتي لبلاد "الهند والسند" المعروفة اليوم بالهند والباكستان، خلال فصلي خريف وشتاء عام 1406هـ/1985م، وقد جبت "بلاد السند" من مدينة كراتشي والمدن التاريخية في الجنوب، إلى مدينة لاهور في الشمال، أما "الهند" فقد زرتها 80% تقريباً، من مدنها ومعالمها الإسلامية، لمختلف مراحل أسرها الإسلامية، منذ قطب الدين ايبك، مملوك الغوريين في دهلي، حتى آخر أباطرة المغول. وجدت مع الأسف أن تلك المعالم الحضارية سائرة إلى الاندثار، والمسلمون فيها لا حول لهم ولا قوة

واليانية، والزرادشتية، والمسيحية، وديانة السيخ، إلى جانب معتقدات دينية قبلية ومحلية أخرى غير هذه[1].

فالدين الإسلامي حمل إلى "الهند والسند" من قبل عنصرين أساسيين، هما العنصر العربي، قائده محمد بن القاسم. إلى جانب أناس من التجار والقادة المسلمين، خلال القرنين الأول والثاني الهجرين/ الثامن والتاسع الميلاديين؛ والعصر الثاني هو العنصر التركي، وقائدهم سبكتغين وابنه محمود الغزنويين، وتلاهم أبناؤهما وأحفادهما؛ ثم الغوريون، إلى أن بلغ زخم ذلك الفتح أيام الأباطرة المغول[2].

أما الهند وسية البراهمية، فقد سبق أن ذكرنا فترتهم ، التي سيطروا فيها، حيث كانت لهم الغلبة بين عام 2622 ق. هـ/ 2000 ق .م ووقت مجيء الديانة البوذية، التي أسّسها بوذا، وقد اتخذت من مدينة "بنارس" مدينتها المقدسة[3].

أما البوذية، فقد ولد مؤسسها من إحدى الأسر القبلية الآرية، في حدود سنة 1222 ق.هـ/622 ق.م، واسمه "غوتمة Goatama"ولعل أكثر الأديان اتباعاً، في جنوب شرق آسيا بشكل عام، بما في ذلك "شبه قارة الهند والسند " هم أتباع الديانة البوذية، حتى إنه ليقال بأن خمس سكان العالم يدينون بالديانة البوذية[4].

أما الديانة اليانية، التي حاءت بعد البوذية، فإن مبدأها محاولة الربط بين الإنسان والأرض، أي أنها تعالج العلاقة بين الإنسان والعالم المحيط به. فالمطلع على أسس هذه الديانة ومبادئها، كغيرها من الديانات الوثنية، يجد أنها قريبة الشبه بالبوذية، حتى أنها لتعتبر، لأول نظرة فيها، جزءاً منها. ومع ذلك فهي ليست بوذية، رغماً عن التشابه الكبير بينهما في بعض الطقوس. وهذه

---

[1] لم يكن الدين الإسلامي، وبالتأكيد، أول الأديان التي اعتنقها ساكنو بلاد "الهند والسند" أو أنه أكثر المعتقدات الدينية اتباعاً، فقد كانت كلها، ما عدا "ديانة السيخ" تتبع قبل مجيء الإسلام وقد جعلت الدين الإسلامي أول الأديان لأن موضوع بحثنا عن الإسلام والمسلمين وفتح المسلمين لهاتيك الربوع. انظر في هذا الخصوص: أ. ب.س.للفن الهندي، ص:50-71

[2] يبلغ عدد سكان المسلمين في بلاد "الهند والسند" أكثر من ثلاثمائة مليون تقريباً

[3] تعتبر مدينة "بنارس" المدينة المقدسة، مقراً رئيسياً لدى أتباع الدنانة الهندوسية. وتقع هذه المدينة إلى الشرق من مدينة الله أباد، وهي مقرّ ديانتهم. عن هذه المدينة، وديانة الهندوس، انظر: "أ.ب.س.للفن الهندي"، ص:110-119، و"مجتمع وديانة العهد الفيدي" في "خط عام لـ"تاريخ حضارة الهند"، ص14-46، ولاهور؛ تاريخها، آثارها الباقية وعصورها السحيقة، ص366-367

[4] ما يتعلق بفلسفة وطبعية دعوة وروح الديانة البوذية، يجدها القارىء أكثر لدى الأستاذ الدكتور نترجن، المصدر السابق في حاشية 17، ص:48-57

الديانة ما تزال حية تتبع، كدين رئيسي في أرضها التي نبعت منها في الأصل، وبعكسها البوذية، فما زالت اليانية تتمتع بتأثير قوي على قسم كبير في أوساط السكان في "شبه قارة الهند والسند" عامة، وخاصة الأقاليم الغربية، وبالذات في إقليم الغجرات بالهند[1].

أما الديانة "الزرادشتية" فهي ديانة الفرس، التي كانت مهيمنة على شعوب الإميراطورية الفارسية من حدود "نهر السند" شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً، ومن وراء جبال القوقاس شمالاً إلى البحر العربي جنوباً، إلا أنها في الوقت الحاضر، لم تعد ديانة تذكر، مع أنه ما يزال لها أتباع في إيران الحالية، بشكل قليل جداً، لا يكاد يذكر، كما يوجد لها أتباع في أقصى الشاطيء الغربي لشبه تلك القارة، وبالذات قرب مدينة بومبي الحالية في إقليم "مهر شتره (Maharashtra)" بالهند[2].

أما ديانة السيخ فهي ديانة حديثة ظهرت على مسرح حياة ساكني شيه قارة "الهند والسند" في القرن التاسع الهجري/ 15م وتتركز كثافة أتباع هذه الديانة في إقليمي راجستان والبنجاب الهنديين، ومركز ديانتهم في مدينة "أمريتسر" (Amritsar) في الإقليم الأخير على الحدود، تقر يباً، مع دولة الباكستان الإسلامية. وقد أسّس هذا الدين شخص يدعى "ننك" (Nanak) وهو أحد مصلحي الديانة الهندوسية[3].

العلاقة بين جزيرة العرب و"الهند والسند"

---

[1] أوضحت "المجلة الوطنية" التي تصدر في واشنطن، في خارطة لها عن جنوب آسيا نسبة أتباع الأديان في تلك الديار. والزائر لتلك المناطق قد يشاهد أتباع الديانات المختلفة إضافة إلى أن الوطن الأصلي للدنانة البوية، هو إقليم "البنجاب" الحالي في باكستان. ومن هذا الإقليم انتشرت إلى الجنوب، والجنوب الشرقي. إلا أنها اختفت من هذا المكان، وحلّت محلها ديانات أخر، مثل الدين الإسلامي، وديانة السيخ، والهندوسية، والمسيحية، انظر في هذا خارطة عدد ديسمبرعام 1984م المرفقة بالعدد المذكور.

[2] ظهرت الديانة الزرادشتية في أواسط القرن الثاني عشر ق.هـ / السادس ق.م. لمعلومات حول هذه الديانة، انظر: فارس والإغريق، ص 64-80، وتاريخ الإمبراطورية الفارسية، ص 94-108؛ ما يتعلق بأهمّ الديانات السائدة في شبه قارة "الهند والسند" راجع مقالة الأستاذ الدكتور/ هنومنيثة كتب عن الهندوسية والأستاذ الدكتور/ رحمة الله خان، كتب عن "الإسلام في الهند" وكلتا المقالتين نشرتا في "خط عام لتاريخ الحضارة في الهند" والمقالتان جائتا بعنوان "التيارات الدينية المعاصرة في الهند"، ص 281-298.

[3] أ.ب.سي.للفن الهندي، ص 104-109.

إن مجرد نظرة خاطفة يمكن معها الاستدلال على مدى قصر المسافة البحرية التي تفصل بين السواحل الشرقية والجنوبية الشرقية لشبه الجزيرة العربية وبين شواطىء "شبه قارة الهند والسند" من جهاتها الجنوبية الغربية والغربية معاً. بناءً على ذلك القرب لا يستغرب المرء وجود صلات قوية، كانت تربط بين ساكني الجهتين الساحليتين، الشرقية والغربية للبحر العربي، وخاصة من الناحية التجارية، على مدّ العصور، منذ أقدم الحقب التاريخية.

فمن المعروف أن أراضي "شبه قارة الهند والسند" مشهورة بإنتاج الكثير من الحاجيات النادرة، والتي يكثر الطلب عليها في بلدان كثيرة، كتلك التي تقع في جنوب غرب آسيا، وشمال أفريقيا، وشرق وجنوب قارة أوروبا . ولعل التوابل والعطور وخشب الصندل والعاج والكافور من أهم المنتوجات لشبه القاره تلك، ولا ننسى الأسلحة، ولعل السيوف الهندية من أهمها، هذا بالإضافة إلى ما تجلبه السفن من جنوب شرق آسيا، وخاصة المنتوجات الحريرية، من الصين. وقد كان لهذه الأصناف، وغيرها رواج تجاري، لا يفتر الطلب عليها من ساكني تلك الأقطار، بل ويزيد سنة بعد أخرى، على مر العصور وتعاقب الأزمان. هذا بالإضافة إلى أن تلك السفن كانت تعود إلى"الهند والسند" محملة بأنواع من البضائع كالتمور والزجاج والبلور وغيرها.

كان في أيدي التجار العرب، بشكل خاص، بحكم موقعهم المتميز بين بلدين مختلفين، بلد منتج وآخر مستهلك، أغلب التجارة المتبادلة بين الطرفين. فقد كانت سفن بحارتهم تنقل ما تنتجه أراضي "الهند والسند" وتمخر بها عباب المحيط الهندي، والبحر العربي، فترسو بها إما في الموانئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، وإما في موانئ الجهة الشرقية منها؛ ومن هاتيك الموانئ تحمل البضائع إلى أراضي بلاد الشام، ومنها إلى مصر، وإلى جنوب أوروبا حيث سوقها الاستهلاكي، ثم يحب أن لا ننسى جزر المحيط الهندي (كجزيرة سرنديب وهي سيلان، وجزر جمهورية الملديف) التي لم تكن أقل من "الهند والسند" اتصالاً بالجزيرة العربية وما أورده ابن بطوطه في رحلته، ليس إلا صورة مصغرة لتلك العلاقات السحيقة العهد بين سكانها والبلاد الغربية والشمالية، المذكورة أعلاه[1]..

[1] "جزر المدليف" يسمّيها ابن بطوطة، "جزائر ديبة المهل" ويقدر عددها بحولها 1087 جزيرة، وسكانها مسلمون. لمعلومات جيدة وأكثر تفصيلاً عن أوضاع الإسلام، والمسلمين، في تلك الجزر،

إضافة إلى الروابط التجارية، كان هناك روابط دينية تربط سكان "الهند والسند" بالجزيرة العربية على وجه الخصوص. فيوجد إشارات عابرة، في مصادر مادتنا، إلى أن سكان "الهند والسند" و"سرنديب" كانوا يذهبون إلى مكة ليقدموا القرابين لمعبوداتهم، ويتقربون إلى الأصنام بها[1].

استمر الوضع على حالته تلك، من الناحيتين التجارية والديانية حتى جاء الإسلام، وبعث محمد (صلّى الله عليه وسلّم) في الجزيرة العربية، فزاد من ذلك، لدرجة أن تجاراً من سكان الجزيرة العربية نقلوا معهم الإسلام إلى "جزر الملديف وسيلان" فهاجر إليها أناس، واستوطنوا هاتيك الجزر، وتزوجوا من نسائها. كذلك نجد الإسلام يمتد إلى "شبه قارة الهند والسند" فيصل، أول ما يصل، إلى إقليم الغجرات، وكتش، وخاصة على سواحل هذه المناطق الغربية، وخير برهان على ذلك أن المساجد والمستوطنات الإسلامية وجدت في هاتيك الأصقاع، على سواحل الدكن وملبار، حتى قبل أن يصل الفتح الإسلامي إلى "بلاد السند"، على يد محمد بن القاسم الثقفي. ولعل السبب في هذا، بدون شك، هو وجود صلات وروابط قديمة جداً، ومصالح متبادلة ربطت بين ساكني شواطئ البحر العربي الشرقية والغربية، فوصلت معها ثقة بعضهم في بعض، لدرجة سمح فيها حكام هاتيك البقاع للمسلمين ليس بنشر الدين الإسلامي والدعوة له، بين مواطنيهم، وممارسة شعائر دينهم بحرية تامة فحسب، بل وسمحوا لهم بأن يقيموا مستوطنات وذلك بوجه الخصوص في الدكن والغجرات[2].

أما "جزر الملديف وسيلان" فقد كانت من أولى بلدان جنوب قارة آسيا التي سكنها العرب واستقروا بها، حتى من قبل البعثة النبوية، كما سبق ذكر ذلك، وهذا يعود، كما قلنا، للعلاقات الطيبة بين سكان البلدان المعنية هنا. لهذا، فلا يجب أن نندهش عندما نسمع أن حكام تلك الجزر كانوا يرسلون يتامى وأرامل

و"جزيرة سيلان"، انظر: رحلة ابن بطوطة، 654/2 وبعدها. أما ما أورده القزويني في"آثار البلاد أخبار العباد"، ص 42-44، فهي معلومات غير دقيقة. راجع كتاب جورج حوراني "العرب والملاحة في المحيط الهندي"، ص 19 وبعدها.

[1] تاريخ المسلمين في الهند، 233/4.

[2] كان من أولئك الحكام، ملك إقليم الغجرات ويدعى "ولبهري" (Valabhrai) أو "بلهارا" (Balhara)، وقد سمح للعرب المسلمين ببناء مستوطنات ومساجد لهم داخل مملكته، مع الحرية التامة في ممارسة شعائرهم الدينية؛ راجع في هذا الموضوع: تاريخ السند، الفترة العربية"، 157/3.

المسلمين العرب وأراملهم، الذين كانت تنزل بهم مصيبة الموت، وهم بهاتيك الجزر، إلى بلادهم في الجزيرة العربية، وهم مصحوبون بهدايا، وتحف، وخطابات تعبر عن روح الود والصداقة التي يكنها هذا الحاكم، أو ذاك الأمير، لهذه الجزيرة أو تلك، تجاه خليفة المسلمين، وأمير الولايات الشرقية للخلافة الإسلامية. وفوق ذلك ما يلقاه مواطنوه المسلمون في جزيرته، من إعراز وإكرام، في ظل حكمه. وسيرد معنا ذكر شيئ من هذه العلاقة الطيبة- إن شاء الله[1].

كان الوضع في "بلاد وادي نهر السند" يختلف تمام الاختلاف، على ما يبدو لنا، في علاقته بسكان السواحل الشرقية للجزيرة العربية، عما شاهدناه في الأقاليم الجنوبية الغربية لشبة "قارة الهند والسند" فلم نجد إشارات تدل على أن العرب كانت لهم صلات تجارية قوية، كتلك التي شاهدناها إلى الجنوب من مصب "نهر السند". ربما كان السبب عدم وجود أمن ملاحي قرب سواحل "مقاطعة السند"، حيث نجد قراصنة يقومون بالترصد للسفن التجارية التي تقترب من سواحل موانئها، فيستولون على ما تحمله، ويقتلون ويسرقون ركابها. ويعزو أحد مؤرخي بلاد "الهند والسند" في الوقت الحاضر ذلك، إلى أن حكام ذلك الوادي كانوا شديدي الكره والعداء للأجانب[2]. ومع ذلك فالذي يظهر لنا هو أن بعض سكان ذلك الوادي كانوا يسعون وراء الربح الذي لا يلكفهم عناء، سوى إرسال قراصنتهم، لترصد سفن التجار العرب وسلبها، لذلك فمن الطبيعي ألا نجد هناك علاقة ودّ ومحبة وتجارة على المستوى نفسه لموانئ البحر العربي الجنوبية الشرقية، تربط بين حكام "وادي السند" ومواطنيهم، وخاصة الجنوبيين منهم، وبين العرب. لذلك سنجد أن سطو قراصنة حاكم السند "داهر" كان السبب الرئيسي الذي عجل بفتح هاتيك البقاع وإدخال أهلها في الإسلام.

وبرغم ذلك، فيجب ألا نمرّ على مسألة "كره أهل السند للأجانب" دون مناقشتها، فلا بد أن يكون لها أسباب، وإلا لما جاء بها أولئك المؤرخون. إذن، ما هي أسباب هذا العداء من جانب حكام السند وأهله تجاه الأجانب، بعكس

---

[1] راجع الحاشية رقم: 45 تحت.

[2] تاريخ السند، 3/ 155-156.

إخوانهم وبني قومهم الهنود، إلى الجنوب، وما كان يكنّه هؤلاء من تقدير وإكرام للعرب؟

لعل السبب، كما يظهر لنا، يعود إلى عوامل خارجية، كانت مفروضة على أهل "وادي نهر السند" من قبل جيرانهم، وخاصة من جانب الفرس، الإيرانيين، وذلك بحكم موقع "وادي السند" القريب من مملكة إيران الفارسية، وبعد مناطق الهند الأخرى وما كان يقوم به أكاسرة الفرس من عدوان عليهم، الأمر الذي يجبر الكثير من سكان "السند" إلى الهجرة إلى خارج هذا البلد هرباً، إما إلى الجنوب أو إلى الشمال من أرض "السند" كلما أحسّوا بالخطر الأجنبي. إن هذا الأمر هو ما أمكننا استنتاجه من رواية جاء بها أبو الريحان البيروني، وذلك في معرض كلامه عن أسباب كره الهندوس للأجانب، وذلك أن كسرى الفرس، الذي أصبح يعتنق الديانة "الزرادشتيه"، شرع في العمل على فرضها بالقوة على جميع ساكني إمبراطوريته، إما بالقوة وإما بالمعاهدات[1]. لذلك فقد اضطر الكثير من سكان بلاد وادي "نهر السند" المسالمين بطبيعتهم، إلى الهجرة، فراراً بدينهم، وخاصة البوذيين، إلى خارج وطنهم. ومنذ ذلك الوقت أضحى أهل السند يكنون كرهاً ومقتاً شديدين تجاه أقاليم خراسان (إيران)[2]. وما يؤيد هذا ما شاهدناه سابقاً، من أن إقليم وادي "نهر السند" كان هو الذي يتعرض، على الدوام، لهجمات القوى الخارجية، وخاصة الشمال منه، حيث كان الآريون والطورانيون، والإسكندر المقدوني وغيرهم، قد جاءوا مهاجمين لسكان هذا الوادي، لموقعه القريب من إيران، كل ذلك بعكس التجار العرب، الذين كانوا يأتون إلى بلاد الهند وجزر المحيط الهادي والبحر العربي، مسالمين، لايؤذون سكان هاتيك الربوع. فربما كان هذا

---

[1] راجع في هذا الخصوص: الهند عند البيروني (المجلد الأول) حيث يذكر أن ذلك كان على وجه الخصوص، في أيام إسفنديار والذي كانت إمبراطوريته تمتدّ من حدود الصين شرقاً إلى حدود بلاد الإغريق غرباً؛ وهذا على ما يبدو لنا من أراضي ما وراء النهر في الشرق إلى البحر المتوسط في الغرب، ومن وراء "نهر السند" وبحر العرب جنوباً إلى جبال القوقاس شمالاً؛ كما يشير البيروني، إلى أن سياية "كسرى فارس، إسفنديار" والذي أسّس معابد النار في شتى أنحاء دولته، قد اتبع هذه السياسة نفسها الأكاسرة الذين جاءوا من بعده،1/24-24. كما وردت رواية تشير إلى أن "داريوس الكبير" كان شديد التدين، بل ومتعصباَ، فأخذ يفرض الديانة "الزرادشتية" على الناس بالقوة، فقد أعطته الحق بأن يخضع العالم ويفرض حكمه على سكانه وكذلك ديانته هذه، انظر: فارس والإغريق"، 64-80.

[2] المصدر السابق نفسه، والصفحات نفسها.

سبب الاختلاف. لذلك، فلا غرابة أن نجد أهل السند يكرهون الأجانب، أياً كانوا، فرساً أم عرباً، أم غيرهم.

لعل الذي خلق ذلك الكره، في قلوب سكان وادي السند، لكل ما هو أجنبي، هو حكام الوادي من الهندوسيين، الذين يميلون بطبعهم إلى العنف، بعكس أتباع الديانة البوذية، الذين يكرهون العنف، والحرب والقتل، ويميلون إلى السلم والاستسلام بطبعهم، لمن يحكمهم، أو يغزو أرضهم. وسنشاهد- فيما بعد- أنهم يستقبلون جيش المسلمين بالغناء، والرقص، والاحتفال، وخاصة بعد القضاء على قوة الهندوس، التي كانت جاثمة عليهم. لذلك تغيرت نظرة سكان "وادي السند" وخاصة تجاه الإسلام والمسلمين، بعد الفتح الإسلامي، تحت مبدأ الآية الكريمة (لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي.... الآية"[1] فأقبل الأهلون يدخلون في هذا الدين أفواجاً، كما سيرد معنا ذكر ذلك.

لهذا، نجد أن الحكام الهندوس يفرضون على سكان وادي السند كره الأجانب، فأضحوا أعداءً لكل أجنبي، فلم يسمحوا، على ما يظهر لنا، للتجار الأجانب بالاقتراب منهم، ما لم يطمئنوا لجانبهم، وهذا أمر ربما كان السبب وراء السطو على سفن العرب المسلمين، في أواخر القرن الأول الهجري/ الثامن الميلادي. فربما كان حاكم "السند " وراء ذلك خوفاً من مجيء الدين الإسلامي إليهم، وفرضه عليه بالقوة، كما فعل كسرى فارس، الآنف الذكر.

في أوائل العقد الأخير من القرن الهجري/ أواخر العقد الأول من القرن الثامن الميلادي، هاجمت مجموعة من قراصنة الهندوس سفناً تجارية للمسلمين، في مياه البحر العربي، على ما يبدو لنا، بعد أن جرفتها الرياح إلى الشواطئ القريبة من ساحل أراضي وادي السند الجنوبية، فأخذت السفن إلى ميناء عرفه الجغرافيون والمؤرخون باسم دبل Debul ويقع، على ما أظن، بالقرب من مدينة كراتشي الحالية في أراضي جمهورية باكستان الإسلامية[2]. وهناك قام

---

[1] سورة البقرة: 256.

[2] كانت مدينة "دبل" أو "ديبل" أو "الديبل" الميناء الرئيسي لمنطقة "وادي نهر السند" عشية الفتح الإسلامي. وقد كانت بلدة كبيرة تحيط بها أسوار عالية قوية البناء، محكمة التصميم؛ كما كانت مشهورة بصناعة اللؤلؤ المستخرج من مياه البحر، الذي تطل عليه، بكميات كبيرة، هذا بالإضافة إلى أنها كانت مرفأً تجارياً مهماً، على البحر العربي. ولقد كان من الصعب جداً اقتحامها. وقد اختلف في تحديد مكانها، في الوقت الحاضر بين مؤرخي وجغرافيي هذا العصر، فمنهم من قال بأنها "مدينة تتا" ومنهم من قال بأنها ذلك المكان الذي يطلق عليه حالياً "بنهبور" أو "بنبهور" وتنطق "بنبور"

أولئك القراصنة بنهب الأموال، وقتل الرجال، وأسر النساء واسترقاق الأطفال، حيث حظي هذا العمل برضى وارتياح، وربما كان بتحريض، من قبل حاكم "السند" آنذاك[1]. وربما قام بالتر تيب لهذا العمل لكي يرهب الأجانب من الاقتراب من أرضه، على الرغم من ادعائه فيما بعد بأنه لا يملك أية سلطة على أولئك القراصنة، عندما طلب تسليم الأسرى من المسلمين، وردّ أموالهم، كما سيرد معنا في ثنايا هذا البحث[2]. وهنا نرى لزاماً علينا أن نعطي القارىء والباحث الكريمين نبذة تاريخية شديدة الاختصار عن أسرة هذا الحاكم الهندوسي، في بلاد وادي السند، عشية الفتح الإسلامي لها.

بلاد السند عشية الفتح الإسلامي

وآخرون يقولون بأنها هي مدينة "كراتشي" الحالية، وقائل يقول بأنا "بندر لاهور". ما يتعلق بهذه المسألة، وما جرى من نقاش فيها انظر: تاريخ الهند كما أورده مؤرخوها، المجلد الأول "الفترة الإسلامية"، ص 374 وبعدها ؛ كذلك، "تاريخ السند"، ص 350-356. وقد ورد اسم هذه المدينة في أغلب المعاجم الجغرافية الإسلامية، "مسالك الممالك"، وكذلك عهد الإدريسي، وابن حوقل، والمقدسي، ص 479، وياقوت الحموي، في معجمه. أما "بنبهور" فقد كتب عنها كتيب في 55 صفحة، عن حفريات هذه المدينة. على يد الدكتور ف. أ. خان، وهي تقع على بعد حوالي 40 ميلاً، (64 كم) شرق مدينة كراتشي الحالية، إلى اليمين من الطريق الرئيسي إلى مدينة حيدر آباد السند.

هناك كتاب آخر عن "مدينة تتا العمارة الإسلامية" للأستاذ الدكتور أحمد حسن داني، ويقع الكتاب في 211 صفحة.

انظر كذلك: تاريخ الحضارة الإسلامية في الهند وباكستان، ص 3. وقد أشار الأصطخري، (مسالك الممالك، ص 140) أن جزر وبعض موانيء البحر العربي غير آمنة الملاحة، وأن هناك ملكاً جباراً وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً وأن قوتهم مستمرة منذ عهد موسى (عليه السلام) ... ولهم إلى يومنا هذا منعة وعدة وبأس وعدد ولا يستطيع السلطان أن يغيرهم، ص 133-140.

[1] كان اسم حاكم "السند" العام، ملك السند، شخص يدعى "داهر" حكم من عام 49هـ/669م إلى عام 94هـ/712م. لمعلومات عن أسرة هذا الملك انظر: الحاشية رقم: 34 تحت.

[2] حول حادثة الاعتداء على سفن المسلمين، راجع هذا البحث، ص 26-27 وبعدها ولقد أورد بعض المؤرخين الذين كتبوا في هذا الموضوع، بأن الملك "داهر" رد على خطاب الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي طالب فيه ذلك الملك بإطلاق سراح النسوة اللأتي أخذهن أولئك القراصنة أسيرات، وإعادة ما سلبوه إلى المسلمين، بأنه لا يملك أية سلطة على أولئك القراصنة. وقد وردت هذه الرواية، مثلاً، عند: محمد علي الكوفي، في كتاب عنوانه "شش نامة" أو "تاريخي هند سند"، وهو كتاب قام بترجمته إلى الفارسية من مصنف باللغة العربية، لمؤلف مجهول عاصر أحداث الفتح الإسلامي للسند، وكتب عن تاريخ تلك البلاد منذ ما قبل ذلك الفتح. والكتاب العربي كان يحمل عنوان "تاريخ الهند والسند" أو "كتاب الفتح" وقيل إن عنوانه "منهاج الدين والملك" وقد ترجمه الكوفي بعد سنة 613هـ/1216م، انظر النسخة الفارسية، ص 92 ولمعلومات عن هذا الكتاب انظر، ترجمة ايلليوث، ودوسؤن، 131/1 وبعدها. وقد اعتمدت على هذه الترجمة الإجليزية، في بحثي هذا، لا على النسخة الفارسية، التي قد يشار إليها في بعض الأحيان لأن القاريء الباحث الكريم، قد لا يتسنى له الرجوع إلى هذه النسخة لندرتها، وربما لعدم معرفته بلغة هذا الكتاب "الفارسية" انظر كذلك: تاريخ حضارة المسلمين..."، ص1 وحاشية رقم: 17.

كانت يحكم ذلك الوادي أسرة بوذية الديانة عرفت بـ"أسرة رائي" وقد أسّسها رجل يدعى "ديوايج Dewaij"[1]. وكان لـ"سيهاسي الثاني Sehasi" آخر ملوك هذه الأسرة، وزير يدين بالديانة الهندوسية، من البراهمية المتطرفين، هوالملك جش بن سلايج (1-46هـ/ 632-666م)[2]. دخل هذا الوزير في نوع من التفاهم التامري، بعد أن توفي ذلك الملك، مع زوجة الأخير "سنها-ديفي Senha Devi [3] ليستولي على الحكم. بناء على ذلك التفاهم اعتلى هذا الوزير عرش "وادي السند" ولذلك فقد أصبح حكام السكان في ذلك الوادي يدينون بغير ديانة أغلب شعبه، وفرضت حكمها عليهم بالحديد والنار.

ظل هذا الملك يحكم قرابة ست وأربعين سنة، (1-46هـ/ 622- 666)[4] ثم خلفه أخوه ويدعى "راجاتشجند بن سلايج" حيث دام حكمه قرابة أربع سنوات، (46-49هـ/666-669م[5] ثم جاء "داهر بن جش بن سلايج" آخر الحكام الهندوسيين، وحكم قرابة خمس وخمسين سنة تقريباً (49-94هـ/66-712م)[6].

تقول الرويات التي بين أيدينا إن أولئك الملوك الهندوس كانوا يشعرون بالتعالي الطبقي على الشعب، الذي يكون الأغلبية فيه الجات والميد والكركيون وقبائل الويرسي والشدة، وهم جميعاً من معتنقي الديانة البوذية[7]. وهنا فرضوا عليهم الضرائب الباهظة، وسنّوا قوانين وقيوداً جائرة، لتسيير حياتهم اليومية العامة. كان من تلك القيود، على سبيل المثال، أن حرم عليهم حمل أي نوع من السلاح، أو ارتداء الملابس الحريرية؛ كما أجبروا على أن لا يركبوا الخيول بسروجها، وأن لا ينتعلوا أحذية، بل يسيروا حفاة الأقدام، وأن لا يضعوا شيئاً من اللباس على رؤوسهم، بل يسيروا حفاة الأقدام، وأن لا يضعوا شيئاً من اللباس على رؤوسهم، بل يسيروا حاسري الرؤوس. وقد نقل "باثان" في

---

[1] انظر: تاريخ السند، 56/1.

[2] انظر: شش نامة، 138/1.

[3] انظر:المصدر السابق، الجزء والصفحة نفسيهما.

[4] انظر: تاريخ حضارة المسلمين...، ص14 وبعدها.

[5] انظر: شش نامة،138/1 و بعدها.

[6] المصدر السابق نفسه، والجزء، والصفحات.

[7] لمعلومات عن هذه القبائل، انظر ما قاله ايلليوت، ودوسون في "تاريخ الهند"، في الملاحق، ص 503-531؛ وصورة الأرض، ص 279-280، وكذلك كتاب "مجمل التواريخ "،103 وبعدها ثم ص 507-508، 519-531.

ص170، خطأ، حيث نسب هذه القوانين الجائرة والأعمال القبيحة إلى المسلمين، مدعياً بأن محمد بن القاسم، بعد فتح "السند" استمر في فرضها على سكان "وادي السند"[1].

لا يمكن أن نستبعد بأن تكون سياسة الحكام الهندوس عدم ترك الفرصة لمواطنيهم البوذيين للاتصال بأي شعب أجنبي، ولكي يظلوا مستعبدين تحت حكم الطبقة الحاكمة من البراهميين. ولذلك قد يكون أشيع عن سكان وادي نهر السند بأنهم يكرهون الأجانب، وربما أن الروايات التاريخية، حول ما لقيه المسلمون من رحابة الصدر، والحب والتقدير، من جانب سكان وادي ذلك النهر، عشية مقدم جيشهم لفتحها، خير ما يمكننا تدوينه هنا لإثبات هذه الناحية. وكل الشواهد والروايات التاريخية تثبت، إلى حد كبير، أن ساكني ذلك الوادي، بعد مقتل "داهر" وانتهاء حكم أسرته الهندوسية البغيضة والمغتصبة لعرش بلادهم، استقبلوا المسلمين العرب أحسن استقبال، والفرحة والبشر على وجههم، كما سنشاهد ذلك في هذا البحث[2].

الإسلام يدخل وادي نهر السند

دواعي الفتح الإسلامي لـ"بلاد السند":

إن مسألة فتح "بلاد وادي السند" أمر مفروغ منه، مهما قيل في أسباب ودواعي الحملة الإسلامية، التي قادها ذلك الشاب الثقفي المجاهد، محمد بن القاسم. حيث إن الرسالة المحمدية جاءت لتنشر الإسلام بين الناس جميعاً؛ وتدعوهم إليه، على أيدي شبابها ورجالها وكهولها، كمحمد بن القاسم، وقتيبة بن مسلم، وعقبة ابن نافع وموسى بن نصير. لم يكن هؤلاء القادة الأبطال إلا خلفاء لسعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد، وأبي عبيدة وغيرهم من أولئك الغرّ الميامين، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين. فالرسالة النبوية لم تأت لتظل في مكة أوالمدينة، أو تكون مقصورة على جزيرة العرب، بل جاءت إلى الناس كافة (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً..... الآية).

---

[1] انظر: تاريخ الهند في العصور الوسطى من عام 647-1256م، ص 44، وتاريخ الحضارة الإسلامية في الهند والباكستان، ص 7.

[2] فتحت القوات الإسلامية جميع أراضي "إقليم السند"، وقسماً كبيراً من إقليم البنجاب إلى حدود إقليم "كشمير" في الشمال، وإلى الحدود الغربية لإقليم "راجبوث"، انظر: تاريخ الحضارة ، ص 6.

كانت فتوحات المسلمين قد وصلت إلى حدود الصين شرقاً، كما كانت تسير سيراً حثيثاً مرضياً إلى جنوب غرب قارة أوروبا. إذاً، ففتح "بلاد وادي نهر السند" جاء كنتيجة طبيعية، وأمر حتمي، خاصة بعد أن فتحت بلاد إيران، وأقاليمها، ودخل أهلها في دين الله. إذ أنه بعد أن دخل إقليما كرمان ومكران، من أراضي فارس، تحت المظلة الإسلامية، كان لا بد أن تدخل الأقاليم المجاورة لهما، هي الأخرى، تحت المظلة نفسها أيضاً، سواء عاجلاً، أم آجلاً. ومع ذلك، فقد يكون صحيحاً مسألة الاعتداء على سفن المسلمين على أيدي رجال "داهر" وما جرّه ذلك من نتائج، حيث عجلت بإرسال حملة إسلامية لفتح هاتيك البقاع. ثم إنني لا أستبعد أن يكون بعض البوذيين، من "الجات" و"الميد" قد دخلوا في مراسلات سرية مع المسلمين، وقاموا بتشجيعهم على فتح بلادهم، ليتخلصوا من طغيان طبقة الهندوس الحاكمة؛ خاصة وأنهم لا بد قد سمعوا عن عدل الإسلام، وسماحة حملة لوائه، ودعاة دينه. وما يؤيد ذلك مجريات أحداث تقدم الجيش الإسلامي، وما أوردته مصادرنا التاريخية، من أن السكان أخذوا ينخرطون في صفوف المسلمين وكما سيرد معنا، فقد ثار سكان مدينة "سِهْوان" ضد الهندوس الحاكمين، وأخذوا جانب المسلمين[1]. كما سنشاهد أن الرهبان البوذيين، في مدينة "نيرون" يرحبون بالقائد المسلم وبجيشه، ويدعون له بالنجاح[2].

أما مصادرنا التاريخية فإنها تجعل حادثة الاعتداء على سفن التجار العرب وبحارتهم من قبل قراصنة "داهر" السبب الكامن وراء حملة محمد بن القاسم. تذكر تلك المصادر أن حاكم "جزيرة سرنديب" "سيرلنكا أو سيلان" الحالية، كان قد أرسل هدايا وتحفاً، ومعها خطاب ودي إلى الخليفة الأموي في دمشق وإلى واليه على العراق، الحجاج بن يوسف الثقفي، مع بعض التجار المسلمين العائدين إلى تلك الديار، في إحدى رحلاتهم التجارية، ومعهم أرامل ويتامى من

---

[1] "سهوان" أو "سنديمان" (Sihwan,Sindiman) مدينة تقع في ولاية "دادو" (Dadu) الحالية، بالقرب من مدينة حيدرآباد السند،على الضفة اليمنى لنهر السند؛ انظر: تاريخ السند، 50/3. وقد سمّاها ابن بطوطة ، (رحلته، ص 453،448 وبعدها) "سيوستان".

[2] "نيرمن" أو "بيرن" إحدى المدن ذات المواقع الحصينة فى "بلاد وادي السند"، وتقع على الطريق العام "تتا- حيدر آباد السند"حول هذه المدينة، وهل تقرأ: "نيرون" أو "بيرون" وعما إذا كانت مدينة أبي الريحان البيروني، ذكر المعاجم الجغرافية لهذه المدينة انظر: تاريخ الهند، 376/1-401، لأنه داعي لتكرار نقاش ذلك هنا. كذلك ، انظر: حاشية رقم: 66 تحت، والمصادر الواردة فيها.

كانوا قد توفوا في بلاده من المسلمين[1]. وكما مرّ معنا سابقاً، اعترضتهم مجموعة من القراصنة، ولعلهم قاموا بذلك العمل بإيعاز من ملكهم "راجا داهر" ويدعون بـ"نكامره" (Nakamarah) واستولوا على سفن المسلمين الثمان المحملة بالبضائع والأموال؛ فسبوا النساء واسترقوا الأطفال وقتلوا الرجال، ولم ينج إلا من حمل خبرهم إلى والي العراق. وفي هذا المعنى يورد البلاذري ما نصه: (...فأهدى...ملك جزيرة الياقوت نسوة ولدن في بلاده مسلمات ومات آباؤهن وكانوا تجاراً فأراد التقرب بهن، فعرض للسفينة التي كن فيها قوم من ميد الديبل في بوارج فأخذوا السفية بما فيها...)[2] وهناك رواية تذكر أن الرياح قد جرفت السفن، وعددها ثمان وليس سفينة واحدة كما يفهم من رواية البلاذري، وغيرت مسارها إلى السواحل القريبة من ميناء "دبل" وهناك سطا قراصنة، وربما يكون الأهلون، عليها فنهبوا، وقتلوا[3].

إضافة إلى هذه الرواية هناك رواية أخرى، تفيد أن الخليفة عبد الملك بن مروان كان قد بعث له وكلاء إلى بلاد الهند، ليشتروا له غلماناً وجواري، وفي أثناء رحلة العودة هاجمتهم سفن القراصنة بالقرب من "دبل" فقتل عدد من المسلمين، وأخذ الباقون أسرى، ولم ينج إلا من نقل خبر تلك الكارثة. ورواية تقول بأن أولئك القراصنة هاجموا سفن بحارة المسلمين وهي تحمل حجاجاً قادمين من جزر البحر العربي، "الملديف، وسيلان)[4].

لقد استعد "باثان" قصة سطو قراصنة الملك "داهر" على سفن المسلمين، وقال بأن هذه مسالة مصطنعة، اختلقها المؤرخون المسلمون، "ليبرروا اعدوانهم على بلاد السند...."[5] والسبب الحقيقي عند "باثان" مسألة ذات شقين، الشق الأول هو ما يتعلق بتمرد محمد ومعاوية، وهما ابنا الحرث العلافي، وأن "راجا داهر" لم يستأصل شأفتهما، بل آواهما، وأكرمهما في بلاده، فما كان أمام

---

[1] حكم الوليد بن عبد الملك من عام 86هـ/705م إلى عام 96هـ/715م، أما ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي للعراق فقد كانت من عام 75هـ/ 694م حتى وفاته في عام 96هـ/714م.

[2] فتوح البلدان، ص 423.

[3] المصدر السابق، الصفحة نفسها، وتاريخ الهند، ص 43-44، وتاريخ السند.."، 3/164-165، وكذلك تاريخ باكستان، 11/2.

[4] تاريخ السند.."، 171/3، نقلاً عن "التاريخ المعصومي"، ص 70، ومع ذلك فلا يمكننا الأخذ بروايته، لأن صاحبها من علماء القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة /17-18م كتب مؤلفه في آخر العقد الأول من القرن الحادي عشر هـ/ أوائل الثامن عشر الميلادي.

[5] ص 166-168.

الخليفة، والوالي على العراق، الحجاج بن يوسف الثقفي، إلا إرسال حملة لغزو "راجا داهر" لعقاب ذينك الأخوين[1].

أما الشق الثاني، حسب رواية ذلك المؤرخ الهندي، فهو حسب زعمه، السياسة التوسعية الاستعبادية التي كانت ديدن الحجاج[2].

رداً على هذه الرواية، التي يبدو لي أنها مغلوطة، يمكنني أن أوكد على ما سبق وذكرته، من أن فتح "بلاد وادي السند" مسألة حتمية، ونتيجة طبيعية تلت فتح أقاليم إيران المجاورة، كرمان، ومكران، وسجستان. وفوق ذلك إن مسألة العدوان على سفن المسلمين مسألة واردة، وإنها محتملة الوقوع، بل لا بد أنها قد حدثت فعلاً، بدليل أن المؤرخين المسلمين لم يأتوا بقصص مختلقة، مشابهة- كما يزعم "باثان" – ليبرروا فتوحات الإسلام الأخرى، شرقاً وغرباً. والسبب الوحيد، أنهم كانوا، كما يبدو لي أمام واجب ديني يحتم عليهم نشر الدين الإسلامي ، بدليل ".... وما أرسلنك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً...." وما سكان "وادي نهر السند" وأهل "الهند" عامة إلا أناس من جملة من يدخل في "كافة الناس". هذه ناحية، والناحية الأخرى هي أن الحجاج كان منشغلاً جداً، وفي هذه الفترة بالذات، وهي فترة الاعتداء على سفن المسلمين، بمتابعة الجهة الشرقية في أفغانستان، وأراضي "ماوراء النهر" وما كان يلاقيه قتيبة بن مسلم الباهلي من عناء هناك، ومطالباته المستمرة، والملحة في إرسال تعزيزات، من وقت لآخر. فلا بدّ أن حادثة سطو القراصنة على محارم المسلمين وممتلكاتهم،

---

[1] كان الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م) قد عيّن سعيد بن أسلم بن زرعة على (مكران وكرمان) وما يستطيع فتحه من بلاد وادي السند" إلا أنه قتل، في إحن وثارات قبلية بغيضة، على يد "العلافيان" وهما محمد ومعاوية ابنا الحرث و"علاف" هو ربان بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة: فغلبا على البلاد. وهنا عمد الحجاج بن يوسف الثقفي فأرسل مجاعة بن سعد التميمي نائباً من قبله، فاسترد البلاد وهرب العلافيان إلى الملك "داهر" إلا أن مجاعة مات في السنة نفسها، فخلفه شخص يدعى عبد الله بن أبي بكرة، إلى أن مات. ثم جاء بعده عبد الرحمن ابن الأشعث، ثم ثلاه على ولاية "ثغر السند" محمد بن هارون؛ ثم لحق به عبد الله بن نبهان السلمي، على رأس حملة ضد "داهر". وقد قتل عبد الله هذا أمام (دِيْبُل) وهو محاصر لها. ثم جاء من بعده شخص اسمه بديل بن طهمة اليجلي، حيث انتدب من عمان لحرب "داهر" إلا أنه قتل هو الأخير. ظل محمد ابن هارون بن ذراع النمري المسئول عن "ثغر السند" إلى أن جاء محمد بن القاسم فألحق به إلا أن ابن هارون توفي وهو في طريقه، مع حملة ابن القاسم وجيش المسلمين، إلي(دبيل)، كما سنذكر ذلك. انظر الحاشية، رقم: 61. راجع في هذا الخصوص: فتوح البلدان، ص 423؛ والكامل في التاريخ، ص 36.

[2] تاريخ السند، 167/3.

مسألة حتمت على الحجاج أن يأخذ ذلك الموقف، وأن يرسل حملة قوية ضد "راجا داهر" وخير ما نستدل به هنا، على مسألة السطو تلك أمور لعل منها:

أ- إن محمد بن القاسم كان قد أرسل في مهمة عسكرية إلى خراسان، وكان قد وصل، في طريقه إلى مهمته تلك إلى مدينة الري، ومعروف أن هذه المدينة تقع إلى الشمال وباتجاه معاكس لوجهة أراضي "وادي نهر السند" الذي يقع في الجنوب، وبعيداً عن منطقتها، فاستعاده الحجاج، وأرسله على رأس حملة ضد ملك السند، وبشكل كان مستعجلاً جداً.

ب- نوعية الجند الذين صاحبوا قائد تلك الحملة فهم من فئتين:-

1- فئة من الحرس الخاص أو الجند الاحتياطيين، كما نسمّيهم اليوم، والذين لا تلجأ إليهم الدولة إلا عندما تضطر إلى ذلك اضطراراً، فانتخب الحجاج منهم، وكانوا مقيمين في الشام، ستة آلاف مقاتل، من الفرسان.

2- فئة متطوعة، فقد أثيرت مسألة الاعتداء على المحارم، وانتهاك أعراض المسلمين، ففتح باب التطوع البحت، فكانت البصرة خاصة، والعراق عامة، قد جعلت مقرّاً لتجمع المجاهدين، وإرسالهم تباعاً لتعزيز حملة ابن القاسم.

جـ- ثم إن مسألة محاولة فتح "بلاد وادي السند" وما يتعلق بغزو المسلمين لهاتيك الربوع، قد سبقت هذه الحملة بكثير، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، كما سيرد معنا ذلك – إن شاء الله- كما أن مدينة "دبل" سبق وحاصرها المسلمون، بل وقتل بالقرب من أسوارها قادة مسلمون أثناء حصارهم لها وكانت قد حوصرت أكثر من مرة، قبل مجيء هذه الحملة.

ولو لم تكن مسألة الاعتداء على سفن المسلمين، والانتهاك الذي وقع على محارمهم، لما كان ذلك الموقف المتشدد من جانب الخليفة ووالية، الحجاج، اللذين شعرا بأن من واجبهما أولاً، وقبل كل شيء، حماية المسلمين، وأعراضهم.

بناءً على ما سبق، يمكننا الخروج بنتيجة من كل الروايات، بمختلف مصادرها، هي أن فتح "بلاد السند"، كان أمراً حتمياً، كان سيحصل عاجلاً، أم

آجلاً، ولكن مسألة السطو على سفن المسلمين، وانتهاك محارمهم،عجّلت ذلك الفتح، وأؤكد على المسألة الأخيرة.

الغزوات التمهيدية لفتح بلاد السند:

كانت حملة محمد بن القاسم، لفتح "بلاد السند"، كما سبق القول، نتيجة طبيعية يحتمها موقع هذه الأراضي المجاورة لأقاليم إيران الجنوبية الغربية، فقد فتح المسلمون أقاليم كرمان، وسجستان، ومكران، سنة 23هـ/644م، كنتيجة تالية لفتح أقاليم سابقة لها، كفارس، والعراق أيام خلافة الفاروق، رضي الله عنه[1].

ولقد كان من المفروض أن يتم فتح هاتيك البقاع قبل ذلك بعشرات السنين، لا كما حدث، حيث لم تفتح إلا في منتصف العقد الأخير من القرن الأول الهجري/ أوائل الثامن للميلاد. والذي يبدو لي، هو أن المسلمين تأخروا، وتباطأوا كثيراً في دعوة "سكان السند" إلى الإسلام، ونشره بينهم، ولكن كلنا نعرف السبب الكامن وراء ذلك التاخر، وهو حدوث تلك المآسي بين المسلمين، وأحداثها المؤلمة، أيام الخليفتين الراشدين ("ذو النورين عثمان" و"أبو الحسن والحسين علي") رضي الله عنهم، وأرضاهم. ثم تلاها بعد ذلك الصراع الدامي على السلطة، بين أسرة علي (رضي الله عنه) وبين بني أمية، ثم بين الأخيرين وعبد الله بن الزبير بن العوام (رضي الله عنه). لهذا فقد كان من نتائجها ليس فقط تأخر فتح "بلاد السند" بل وضاعت فتوحات المسلمين في أقاليم كثيرة منها أقاليم كرمان، وسجستان، ومكران، فأصبح لزاماً على المسلمين أن يعيدوا فتحها من جديد.

كان ذلك الفتح الثاني بعد الأول بحوالي عشر سنوات، ولإقليمين فقط، هما كرمان وسجستان، أما مكران، فقد تأخر لأكثر من عشرين سنة، حيث لم يتم فتحها، وعلى مراحل، إلا في زمن الدولة الأموية، وخلال فترات حكم الخلفاء الأربعة الأوائل، وخاصة، أيام معاوية (رضي الله عنه)، وعبد الملك، والوليد[2].

وفوق ذلك كله، فقد ظل حكم المسلمين عليهما مهزوزاً، لم يقر له قرار، لعشرات من السنين، حتى جاء الحجاج إلى العراق، والياً عليها، من قبل الخليفة عبد الملك ابن مروان في عام 75هـ/695م. أما مكران، فقد انتهى حكم

---

[1] فتوح البلدان، ص 378 وبعدها؛ وتاريخ الرسل والملوك، 4/180-182؛ والكامل في التاريخ، 3/22-24.

[2] فتوح البلدان، ص 383 وبعدها.

المسلمين عليها منذ فتحها الأول في عام 23هـ/644م، ورجعت تحت حكم "مرزباناتها" الذين كانوا يخضعون لنفوذ حاكم "السند" الهندوسي، الذي اغتصب عرش بلادها[1]. وقد كان "مرزباناتها" يطلبون العون من ملك "السند" الهندوسي من وقت لآخر، كلما أحسّوا بهجوم من قبل المسلمين، الذين كانوا تارة ينهزمون لقلتهم، ولعدم وجود سلطة مهتمة ومسؤولة تواصل الإمدادات لهم، وتارة يقتل أميرهم، إما على أيدي السكان، وإما على أيدي إخوان لهم مسلمين، في ثارات وإحنٍ قبلية منتنة[2].

قبل أن أبدأ حديثي عن حملة ابن القاسم، رأيت من الأنسب أن استعرض هنا بعض الغزوات الإسلامية المبكرة، لـ"بلاد وادي السند"، والتي لم يكن غرضها الفتح بالدرجة الأولى، وبشكل سريع، بقدر ما كانت عبارة عن حملات استطلاعية، اختبارية إن صح لنا التعبير، لطبيعة البلاد، وسكانها، وظروف حياتهم، وما هم عليه ومدى استعدادهم لتقبل الإسلام.

تذكر الروايات، التي بين أيدينا، أن العرب المسلمين غزوا سواحل "وادي السند" المطلة على شواطئ البحر العربي، وذلك خلال السنوات الخمس الأخيرة من العقد الثاني من القرن الأول الهجري/ العقد الرابع من القرن السابع للميلاد، وقد شملت غزواتهم مدناً ساحلية، مثل "دبل" في السند و"ثانا" و"بروتش" وذلك في عام 15هـ/ 637م زمن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه وأرضاه[3]. حقّقت تلك الحملات بعض النجاح، برغم صعوبات صادفتهم ، وخاصة فيما يتعلق بقلة خبرتهم في ركوب البحر، والملاحة البحرية. ومع ذلك فكلنا نعرف موقف الفاروق (رضي الله عنه)، الذي كان لا يحبذ ركوب البحر.

---

[1] هو "راجا جش بن سيوينج" (Raja Chach Ibn Saywayij) مؤسس البراهمين الهندوس في السند، انظر: تاريخ السند..، ص 185.

[2] لمعلومات حول فتوحات أقاليم إيران المذكورة راجع في ذلك: فتوح البلدان، ص 378 وبعدها؛ كذلك كتابي الطبري، وابن الأثير، حسب حوادث السنين نمن سنة 23 نت وبعدها.

[3] ثانا (Thana) التي يسمّيها البلاذري "تانه" (Tahnah) هي إحدي المدن الساحلية المطلة على البحر العربي، بالقرب من مدينة "بومبي" الحالية في الهند وما تزال، هذه المدينة الواقعة شمال مدينة بومبي، إلى اليوم، انظر: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص 176. وقد جانب الصواب عندما ذكر أن السند فتحت على يدي الحجاج بن يوسف الثقفي، انظر: ص 194؛ أما "بروج/بروتش" (Broach) فتقع في إقليم "الغجرات" على الساحل . انظر: المسلمون الأول في الهند، ص 12.

ويبدو لنا، أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لو استشير مسبقاً، لما سمح بذلك إطلاقاً[1].

لهذ السبب، لم يحاول المسلمون غزو "السند" عن طريق البحر. وكان حتماً عليهم أن يأتوا إليه عن طريق البرّ. وعليه كان لا بد لهم أن يفتحوا أقاليم قبل "إقليم السند" كفارس وكرمان، وسجستان، ومكران . ورغماً عن هذا، لم تغب عن خلفاء المسلمين مسألة فتح "بلاد السند" فأخذوا يرسلون من يجمع لهم أخبارها ولعل السبب في تشوق المسلمين لفتح هاتيك البقاع، هو ما سبق وذكرناه، من النجاح الذي حظي به التجار المسلمون، ونشرهم الإسلام في أقاليم" الغحرات"، و"ملبار". ناهيك عما حققوه في "جزر الملديف وسيلان"، ودخول الإسلام هناك، بجهود فردية، فأنشأوا المستوطنات، وعمروا المساجد، كما مرّ ذلك معنا.

من الحملات، الاستطلاعية الأخرى تلك التي أرسلها علي (رضي الله عنه) إلى "السند" ما قام به الحارث بن مرة العبدي؛ حيث تذكر الروايات، التي بين أيدينا أنه غزاها في عام 38-39هـ/661م، وقد قتل الحارث مجاهداً في سبيل الله، في عام 42هـ/664م، في إقليم سمّاه مؤرخونا وجغرافيونا "القيقان"[2]. لعل هذا الإقليم، كان ميدان نشاط تلك الحملات، التي لم يذكر مؤرخونا أماكن محدّدة لها، أو مسمّياتها زمن علي (رضي الله عنه).

استمر الوضع على هذا المنوال طوال عقود من السنوات تلت، فلم يكن للمسلمين نشاط عسكري يذكر، خلال فترة معاوية (رضي الله عنه) وابنه يزيد، ولا حتى في الفترة التي أعقبت وفاة الأخير، حتى سنة 75هـ/695م، حيث ولى عبد الملك بن مروان شخصاً، يدعى سعيد بن أسلم بن زرعة (على ثغر

---

[1] ما يتعلق بهذه السياسة التي كان يراها عمر بن الخطاب رضي الله عنه والتي لا تحب أن يخاطر المسلمون ويركبوا البحر، راجع على سبيل المثال: فتوح البلدان، ص 420 ومسألة الغزوة البحرين للحكم أبي بن العاص الثقفي في عام 15هـ /637م، إذ أنه عندما أخبره واليه على البحرين وقد كان عثمان بن أبي العاص بأنه أغزا أخاه، وركب في غزوته تلك البحر بالمسلمين، ردّ عمر رضى الله عنه قائلاً له: "يا أخا ثقيف! حملت دوداً على عود وإني أحلف بالله أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم ..انظر: فتوح البلدان، ص 420.

[2] "القيقان" أراض منبسطة، تقع بين "الملتان"، و "كابل"، وقد غزاها العرب المسلمون وهي مشهورة بخيلها المعروفة بالجودة فقوتها وشدة تحملها وقد كان الطلب عليها في تزايد مستمر من هاتيك الربوع، ولأمر ما كانت أولى هدايا عبد الله هذا إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، انظر: فتوح البلدان، ص 421؛ والكامل، 218/3. ولمعلومات عن "القيقان" ومن كتب عنها ووجه الاختلاف حولها، انظر: تاريخ الهند.."، 381/1-383.

السند). ولا يعني هذا "بلاد السند" نفسها، ولكن يعني البلاد التي كان المسلمون قد وصلوها، وهي مشارف الحدود الغربية لذلك الوادي أي أقاليم مكران، وسجستان، وكرمان. وبعد أن قتل سعيد بن زرعة ألحقت تلك الأقاليم، على ما يبدو لنا، بغيرها من أقاليم الشرق تحت نفوذ الحجاج بن يوسف الثقفي، حيث عيّنه عبد الملك بن مروان، بعد الانتهاء من مسألة عبد الله بن الزبير في مكة، على العراق في عام 75هـ/695م. وهنا أرسل الحجاج والياً عليها من قبله، فوقعت صراعات وإحنٍ قبلية بين القادة العرب بها، وتوالى القادة واحداً بعد الآخر، حتى جاء محمد ابن هارون بن ذراع، فظل بها إلى أن جاء محمد بن القاسم بحملته المشهورة، التي فتح بها "بلاد السند"[1].

[1] انظر الحاشية رقم: 49.

مجلة الهند

مجلة فصلية

المجلد: 1 **العدد:** 4

عدد أكتوبر – ديسمبر 2012م

مدير التحرير

د. أورنك زيب الأعظمي

نائب مدير التحرير

مهدي حسن القاسمي

تصدر عن

أكادمية كيشالايا، بنغال الغربية، الهند

محمد بن هارون بن ذراع بأن يلتحق بالحملة مع جميع من كان معه من الرجال، والقائد العام لها محمد بن القاسم[1].

بناء على ذلك، يمكننا القول بأن القوات التي تجمعت تحت إدارة محمد بن القاسم، عشية وصوله إلى "بلاد السند"، تقدر بحوالي خمسة عشر إلى عشرين ألف رجل تقريباً. في أواخر عام 92هـ/711م، سارت الحملة من شيراز، متجهة إلى الشرق، وسالكة الطريق نفسها التي سلكها الإسكندر المقدوني، أثناء رحلة العودة، من حملته الشرقية المشهورة، التي ذكرناها سابقاً[2]. عبرت القوات الإسلامية إقليم فارس إلى إقليم كرمان، ومن هذا الأخير دخلت مكران، ومنه إلى "إقليم السند"، حيث سارت، كما يبدو لنا، محاذية لمياه البحر العربي، حتى لا تكون بعيدة عن السفن الإسلامية، التي سلكت هي الأخرى البحر، بالقرب من اليابسة،على مرأى من القوات البرية. وهنا يذكر البلاذري أن محمداً فتح، في طريقه، كلاً من "فنز بور" و"رمائيل"[3]. بعد ذلك نجده يسير باتجاه هدفه الأكبر، وهو مدينة "دبل" حيث وصلها في شهر رجب من العام التالي، 93هـ/أبريل 712م[4].

---

[1] توفي محمد بن هارون قبل أن تصل القوات الإسلامية "ديبل"، ودفن بالقرب من مدينة "رمائيل"، فتوح البلدان"، ص 424 وتاريخ اليعقوبي، ص 288. مدينة "أرمابيل" أو "أرمائيل" تقع على طريق مكران-السند، باتجاه "دِيْبل"، انظر: تاريخ الهند، 1/264-365، كذلك مسالك الممالك، ص 170 وبعدها؛ وصورة الأرض، ص 226-232.

[2] تاريخ المسند، 179/3.

[3] لمعلومات عن "فنزبور" وهي مدينة بنجبور، عاصمة إقليم كرمان، راجع: تاريخ الهند،389/1. وهي تعرف اليوم بـ"بنج غور"، انظر أحسن التقاسيم، ص 478 وقد جعل هذا الجغرافي المسلم بلاد السند ومكران، كإقليم واحد. انظر صفحاته:474-486.

[4] شش نامة، ص 102، كذلك ترجمته الإنجليزية، 436/1. كذلك تاريخ الهند..، ص 45؛ تاريخ السند"، 179/3. أما ما يتعلق بكلمة "ديبل" أو "دِبل" فيقول البلاذري (فتوح البلدان، ص 422)، وعنه نقل ابن الأثير وغيره، "وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل طويل، وعلى الدقل راية حمراء إذاهبت الريح أطافت بالمدينة، وكانت تدور والبد فيما ذكروا منارة عظيمة يتخذ في بنائهم فيه صنم أو أصنام يشهر بها. وقد يكون الصنم في داخل المنارة أيضاً وكل شيء أعظموه عن طريق العبادة فهو عندهم بد، والصنم أيضاً ...." ومدينة الديبل مشتقة من "ديفل" والتي تعنى "معبد" وتتكون من قلعة، ومعبد وعليه قبه عالية. وهي مبنية من الصخور وذات ارتفاع عال جداً، وخاصة معبدها، وقلعتها والقبة. فجدران المعبد مبينة بارتفاع يقدر بحوالي 37 متراً تقريباً (40 يادرة، 120 قدم)، وعلى المعبد تقع قبته، التي يبلغ ارتفاعها، فوق المعبد ارتفاع المعبد عن مستوى سطح الأرض، إذ يبلغ ارتفاع القبة عن مستوى سطح الأرض حوالي 73 متراً (80 ياردة، 240 قدماً). انظر: المسلمون الأول في

ضرب المسلمون الحصار حول تلك المدينة، براً وبحراً، وأخذوا يقذفونها، بالحجارة، والنيران. وقد كان لذلك المنجنيق "العروس" أثره البالغ في النيل من الروح المعنوية للمدافعين، حيث كسرت إحدى قذائفه دقلاً كبير الحجم، كان يحمل راية حمراء، إذا هبّت ريح دار حول قلعتها، ذات التحصينات المنيعة. بعد حصار، دام قرابة ثلاثة أسابيع، سقطت المدينة في أيدي المسلمين الفاتحين، بعد أنْ تسلق رجالها الأشاوس جدران المدينة وأسوارها، ورفع علم المسلمين يحمل راية التوحيد، في أعلى القلعة، مكان تلك الراية الحمراء في أعلى قبة صنمهم. وبهذا أصبحت مدينة "دبل" أول حلقة في سلسلة مدن "وادي السند"، التي فتحها المسلمون بقيادة محمد بن القاسم[1].

بعد أن اطمأن على أوضاع "دبل" الأمنية، سار محمّد بجيشه باتجاه الشمال الشرقي إلى مدينة "نيرون"، التي كانت قد أعلنت استسلامها إلى الحجاج شخصياً في العراق، على لسان رجلين من رهبان معبدها البوذي، فدخلها محمد، ولم يمس أهلها بسوء، لا في النفس ولا في المال، وبنى بها مسجداً، وعيّن لها حاكماً وإماماً، وغادرها إلى مدينة أخرى[2].

ومن "نيرون" اتجه الجيش الإسلامي إلى الشمال الغربي نحو "سِهْوان"، وبعد أسبوع من الحصار خرج رجالها البوذيون وأعلنوا خضوعهم، بعد أن هجرهم حاكمها الهندوسي وهرب بجلده، للقائد المسلم محمد، وفي أثناء طريقه إلى "سهوان" اعترضه كبار رجال الدين، وأعلنوا استسلام مدينة "سربيدس"[3].

الهند، ص 14، 50 حاشية رقم: 10، ولمعلومات إضافية عن كلمة "بد" وعلاقتها بـ"بودا" والديانة البوذية راجع: تاريخ الهند...."، ص 504 وبعدها. والدقل هو السارية أو الخشبة الغليظة الطويلة عادة تحمل شراع السفينة الشراعية أو الفارب الشراعي.

[1] فتوح البلدان، ص 424

[2] لمعلومات أكثر تفصيلاً عن كيفية استسلام "نيرون"، انظر: شش نامة (الترجمة الإنجليزية)، ص 107، وهذه المدينة تقع إلى الشمال الشرقي من "ديبل" على بعد 120 كيلاً وهي قريبة من مدينة "حيدر آباد السند" الحالية . ولمعلومات إضافية عن هذه المدينة، وما أثير حولها من إشكالات، ومداولات، منشؤها الإلباس الواقع بينها وبين مدينة أبي الريحان البيروني، انظر: تاريخ الهند، 396/1 وبعدها. انظر كذلك: المسلمون الأول في الهند، ص 17. انظر كذلك: تاريخ اليعقوبي، ص 289.

[3] يسمّي البلاذري، (فتوح البلدان، ص 425) رجال الدين أولئك بـ"السمنية "، وهم رجال الدين ذوو الديانة البوذية. انظر: تاريخ قرشي"، 7/2. ومدينة "سهوان" أو "سيوسنان" (Siwistan)" تبعد عن "نيرون" بحوالي 130 كيلاً إلى الشمال منها. انظر: المسلمون

قبل الانتقال إلى شرح تفاصيل فتح مدينة أخرى، رأيت أن أقف قليلاً عند فتح مدينة "سهوان"، لنطلع من خلال إيراد أحداث الحصار والاستسلام السلمي من أهلها، على أن ما كان يعرقل دخول الإسلام إلى هاتيك البقاع، وتسهيل مهمة الفتح الإسلامي لها، هو وجود الملك الهندوسي الديانة، وأن الأهالي "البوذيين" كانوا شديدي الميل إلى المسلمين، بدافع من حبهم للتخلص من ذلك الحكم الجائر، الذي كان يمارسه الهندوسيون عليهم.

كانت مدينة "سهوان" تعتبر بمثابة مفتاح لبقية مدن "وادي السند"، خاصة وأن استسلامها جاء على وجه سلمي، وعن طواعية واختيار من قبل الأهالي، بعد أن هرب واليها، حيث ذهب وفد من المدينة وأخبروا قائد المسلمين بأنهم لا يكنّون أي ولاء لذلك الحاكم الهندوسي الجائر ويدعى "بجهرا بن تشندرا بن تشش" (Bajhra son of Chandra son of Chach) وهو ابن أخي الملك "راجا داهر"[1]. وقد سبق لهذا الحاكم أنْ قرّر بأن يدفاع عن مدينته، في أول الأمر، ولكن عند ما ضرب المسلمون الحصار حولها تخلى أهلها عنه؛ فدبّر خطة، وهرب منها، حتى دون علم المسلمين، فأرسلوا بعد ذلك خلفه من طارده؛ وقد قتل فيما بعد. يقول مصنف (شش نامة) بأن رهبان مدينة (سهوان) خرجوا إلى محمد بن القاسم وقالوا له: ".....جميع المواطنين، الفلاحون، وأصحاب الحرف، والتجار، والطبقات الدنيا، لا يدينون بولائهم لـ"بجهرا". كما أنه لم يكن يملك أية قوة تقف معارضة لك ...."[2]. كما يذكر المصنف بأنهم قد قالوا لأميرهم الهندوسي ".... إن محمد بن القاسم لديه أمر من الحجاج بأن يحمي كل إنسان يطلب منه حمايته،.....كما أن العرب أوفياء، ويلتزمون بعهودهم....[3].

بناء على ذلك، يظهر لنا، أن مدة حصار مدينة "سهوان" لم تستمر، لمدة أسبوع، إلا لوجود حاكم "داهر" في داخلها، ولولا ذلك لقابلوا المسلمين كما سبق وقابلهم أهل "نيرون".

الأول.... "، ص7. و يسمّي اليعقوبي (تاريخه...)، ص289 هذه المدينة "سهبان". أما مدينة "سربيدس" فيبدو لنا بأنها ليست بعيدة عن "سهوان" بدليل أنها فتحت في الفترة نفسها التي افتتحت فيها "سهوان".

[1] لمعلومات إضافية أوفى عنه، انظر: المسلمون الأول في الهند، ص 8.

[2] شش نامة، 1/158-161 من الترجمة الإنجليزية لـ: ايلليوت. كذلك المسلمون الأول في الهند، ص 18

[3] المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها

توالت مدن، ومناطق "وادي السند" السفلى تعلن خضوعها للفتح الجديد، ولم يقف دون خضوع ما تبقى منها سوى وجود "داهر" متحصناً في قلعة "برهمان آباد" ثم أخبار كانت تصل إلى سكان تلك المنطقة، وشائعات، تردد هنا وهناك، عن الاستعدادات التي بدأ يتخذها ذلك الملك الهندوسي، لمنازلة المسلمين، في معركة مفتوحة لطرد المسلمين من تلك الديار[1].

لو نظرنا إلى خارطة "وادي السند السفلى"، لوجدنا أن محمداً قد أوغل في تقدمه شمالاً، محاذياً لـ"نهر السند"، من جهته الغربية. وبذلك أصبح في موقف عسكري ضعيف، حيث ترك مكاسبه في الجنوب، وعلى رأسها "نيرون" مهددة بالخطر من قبل "داهر" الذي أخذ فعلاً يستعد من "برهمان آباد"، القريبة من "نيرون" لمنازلة المسلمين، وطردهم من أرض السند كلية. لذلك، كان لزاماً على ابن القاسم أن يعود بجيشه جنوباً، لمواجهة خطر الملك الهندوسي الداهم.

والسؤال، الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا توغل المسلمون في فتوحاتهم شمالاً، بينما كان "داهر" في قلعة "برهمان آباد"، مع أن سرعة القضاء عليه تعني شيئاً واحداً، وهو: نهاية كل مقاومة قد تقف أمام الزحف الإسلامي، في أراضي السند؟

والذي يبدو لنا أن السبب، قد يكمن في نقاط، لعل منها:

1- صعوبة عبور نهر السند الكبير، وخوف الترصد للمسلمين، من قبل "داهر" ورجاله، أثناء فترة العبور، فخشي المسلمون أن يؤخذوا على غرة، وهم مشغولون بالعبور.

2- النجاح الكبير، الذي لاقاه المسلمون في زحفهم إلى الشمال، وأن ذلك سيجعل روح "داهر" ورجاله تضعف يوماً بعد يوم، كلما نجح المسلمون في توغلهم داخل أراضيه.

---

[1] كانت مدينة "برهمان آباد" تعتبر عاصمة "إقليم السند السفلى" وتقع إلى الشرق من "نهر السند"، والذي تسمّيه مصادرنا الإسلامية "نهر مهران" غير أن اليعقوبي في "تاريخه"، ص 289، يذكر أن مهران غير السند، بعبارة صريحة، ولعل الأمر أشكل عليه لمعلومات عن هذه المدينة، وموقعها والاختلاف، بيّن من طرقها، في موقعها، انظر: تاريخ الهند، ص 368- 370، ولو أن البلاذري، (فتوح البلدان، ص 426) حدّد موقعها بحوالي فرسخين (13 كيلاً تقريباً) من مدينة المنصورة، القريبة من مدينة "حيدر آباد السند" الحالية.

3- ربما أن محمداً رأى أن يتوغل حتى يجد الفرصة مواتية لعبور النهر، ثم يأتي إلى "برهمان آباد" من الشمال فيكون بذلك قد حصر ملكها في منطقة ضيقة، تتكون من هذه المدينة، وما حولها، فلا يصل إليه مدد من الشمال، وكان المسلمون قد ضموا الجنوب منها، والغرب في أيديهم، وبذلك يقطع أي أمل لنجاح مقاومة "داهر" أو هربه، إن هو حاول ذلك.

مهما كانت أسباب تقدم محمد إلى الشمال، فقد جاءته الآن أوامر الحجاج، وهو القائد المدبّر، والمخطّط لفتح السند، بأن يرجع جنوباً إلى "نيرون" ثم منها يبدأ في مناجزة "داهر"[1].

معركة "الراور Rawar"

تذكر الروايات التاريخية التي بين أيدينا، أن المعركة التي حدّدت مصير"أراضي السند" وغيّرت مجرى حياة أهله، من جميع النواحي، كانت قد جرت بالقرب من مدينة "الراور" (Rawar)، الوقعة في المسافة بين "برهمان آباد" و"نيرون"[2] وبما أن تجمع قوات "داهر" كانت إلى الشرق من نهر

---

[1] فيما يتعلق بمتابعة الحجاج لمسيرة فتح السند، والمراسلات بينه وبين قائد الحملة، محمد بن القاسم، يروي لنا البلاذري (فتوح البلدان، ص 424)، رواية يستدل من خلالها على أن الحجاج كان دائماً في الصورة، وكأنه يشاهد كل حركة من تحركات جند المسلمين، سواء في حصار مدينة، أو مناجزة عدوّ في ميدان معركة مفتوحة فيقول البلاذري: "وكانت كتب الحجاج ترد على محمد وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قبله، واستطلاع رأيه فيما يعمل به في كل ثلاثة أيام..."، راجع أيضاً: تو جيهات الحجاج له أثناء حصار "ديبل" في ص 425.

[2] يبدو لي أن ايلليوت ودوسون (ناريخ الهند..."، ص 363)، قد جانبا الصواب عندما جعلا "الرور" وهي "الور" مدينة "رهري ..." الحالية، الواقعة في "أواسط وادي نهر السند" أي إلى الشمال البعيد عن كل من "النيرون"، التي ليست بعيدة عن مدينة "حيدر آباد السند"، وقد أصبحت الآن، على ما يبدو لي، جزءاً منها، و"برهمان آباد" والتي كان بها "راجا داهر" بمئآت الكيلات، فلا يعقل، أن تكون المعركة جرت عليها، لأن محمد بن القاسم رجع من منطقة مدينة "سهوان" (Sihwan) إلى الجنوب، بينما تقع الور إلى الشمال، والمسافة بين "سهوان" و"ديبل" الواقعة على شاطئ البحر العربي، في الجنوب تساوي تقريباً، المسافة بين "سهوان" و"آلور" في الشمال، إذاً فالمعركة لا بد أن تكون قد جرت على أرض تقع بين "النيرون" في الجنوب، والتي كان قد فتحها المسلمون، وأضحت تحت حكمهم، وبين "برهان آباد" التي كانت معقلاً لـ"راجا داهر"، ومنها كان خروجه، لملاقاة جيش المسلمين، والمسافة بين المدينتين حوالي 47 ميلاً (64 و55 كيلاً) . وقد أشار، إلى ما يؤيد ذلك الأستاذ شاهبور شاه، في كلامه حول تحديد مكان "الراور" وما يؤيد هذا مجريات الأحداث، فلا يعقل على الإطلاق، أن "آلور" و"رهرى" الحالية كانت مكاناً للمعركة المذكورة، دراسات في تاريخ مسلمي الهند وتعليقات نقدية على "تاريخ الهند" لكل من ايلليوت، ودوسون، ص 87.

"مهران" وهو "السند" المعروف حالياً، كان لا بدّ لجيوش المسلمين من العبور إليهم. وفي هذا مجازفة كبيرة، وخطورة على حياة المسلمين ومصيرهم في أرض "السند" بأسرها، حيث كان "داهر قد أعدّ لهم كمائن على جانب الوادي من الشرق ليتخطفوا المسلمين، فرادى وجماعات، أثناء العبور، ولكن الله سلم، فقد كان لسياسة القائد ومستشاريه الحكيمة، وتخطيطهم السليم، وما نمت عنه نتائج العبور من حنكة عسكرية، ومواهب قيادية نادرة، الانتصار الحاسم على قوة الهندوس. دخل ابن القاسم في مفاوضات سرية مع أحد المسؤولين الكبار، وكان واحداً من أمراء "الملك داهر"، ومن أنيطت به رئاسة تلك الكمائن، وحماية المناطق التي كانت سهلة العبور، ومنها كان المسلمون قدروا العبور إلى الضفة الشرقية "للسند". وعد ابن القاسم ذلك الأمير الوعود الحسنة، حتى رضي، ليس فقط بأن يخلّي بين المسلمين ومعابر النهر، بل لقد انضم إلى صفوفهم مقاتلاً ضد سيده. ويدعى "راسل"[1].

تذكر الروايات التاريخية أن معركة "الراور" لم تكن بأقل من معركة القادسية ضراوة وبسالة من جانب الخصمين المتحاربين من ناحية، ولا من حيث النتائج التي تمخضت عنها المعركة من ناحية ثانية. فإن كانت القادسية، بقيادة سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)، قد فتحت الباب، تقريباً، على مصراعيه لفتح بلاد فارس، ودخول أهلها إلى الإسلام، فقد بسطت "الراور" بقيادة ابن القاسم، أراضي "السند" ممهدة أمام الفتح الإسلامي، حتى وصلت قواته إلى حدود ولاية "كشمير" في الشمال.

بعد أن عبر المسلمون "نهر السند"، وتلاحقت قواتهم جاءهم "داهر" بقضه وقضيضه، راكباً فيله الأبيض، يسير، وفي ذهنه سحق المسلمين، وإجلائهم من السند كلية. بدأت المناوشات، بين الخصمين كما ظهر لنا من نتائج حسابنا في يوم الخميس السادس من رمضان عام 93هـ/ 16حزيران/ يونيه عام 712م؛ واستمرت طوال الأيام الخمسة التالية، أي حتى يوم الاثنين العاشر من

---

[1] لقد كان ذلك الأمير "راسل" حاكماً لقلعة كانت تعرف بـ"بايت" (Bait) أو "بت" (Bet) وكان أحد نواب الملك "راجا داهر" وأحد قواد فصائل جيشه، حيث أوكلت إليه على ما يبدو مهمة حراسة الأماكن التي يمكن أن تكون سهلة العبور لجيش المسلمين، مخافة سباحة، راجع ذلك في فتوح البلدان، ص 425-426، وهناك تفاصيل أكثر عن موقف الملك "راسل" من المسلمين في شش نامة (الترجمة الإنجليزية)، ص 168- 169.

رمضان/20 حزيران/ يونيه، من العام نفسه[1]. وفي اليوم الأخير أحاطت ثلة من خيالة المسلمين بذلك الفيل الأبيض، وأشعلوا النيران في هودجه، فذهب الفيل مسرعاً إلى النهر وألقى بنفسه فيه ليطفىء النيران، فأطيح بفارسه ومن كان معه؛ حيث يذكر بأن فتاتين كانتا معه، إحداهن تناوله السهام للرمي، والأخرى تزوده باللوز لإنعاشه وتجديد نشاطه. ويذكر بأن أهل "الراور" لم يستسلموا إلا بعد أن أشارت عليهم بذلك إحدى زوجات "داهر"[2].

بعد ذلك الانتصار الحاسم، اتجه محمد بجيشه إلى قلعة (الراور) وضرب حولها الحصار، حيث كانت في داخلها إحدى زوجات الملك المقتول. وتدعى (راني باي: Rani Bai) وأحد أبنائه (جاي سينغ:Jai Singh[3]). وبعد أن اشتدت وطأة الحصار قرّر ابن "داهر" الهروب إلى قلعة "برهمان آباد" أملاً بجمع الشتات، وأن يتصدى للزحف الإسلامي؛ بينما فضّلت الزوجة حشد الطاقات والدفاع عن القلعة. ومع ذلك فقد انتهى الأمر بأن اقتحم المسلمون قلعتها، فعمدت المرأة، التي يذكر أيضاً بأنها كانت أختاً لداهر وزوجته في الوقت نفسه، إلى إحراق نفسها ومن معها من نساء القصر[4].

بعد أن أخضعت مدينة "الراور" سار جيش المسلمين باتجاه "برهمان آباد"، وفي طريقه فتح عدة أماكن وقلاع، كانت "بهرور" و"دهليلا" الواقعتان بين

---

[1] لا يظهر أن يوم الخميس، الذي ذكره صاحب "شش نامة" هو يوم العاشر من رمضان، بل إن ذلك يصادف يوم الاثنين، راجع ترجمته الإنجليزية، ص 17.

[2] شش نامة، ص 170-175، وترجمته الإنجليزية "تاريخ الهند"، ص 165-170، وفتوح البلدان، ص 425-426، وتاريخ اليعقوبي، ص 289. وهنا يذكر أن أهل "الراور" هم الذين رفضوا الاستسلام إلا بعد أن أخرج لهم محمد بن القاسم زوجة داهر، فأقنعتهم أن الملك قد قتل، وليس عند مدينة "الور" كما ورد ذلك عند الكوفي، "شش نامة" (ترجمته الإنجليزية)، ص 192، انظر حاشية رقم: 89 ولعل اليعقوبي كان يقصد "آلور" وليس "الرور"، انظر كذلك من المراجع الحديثة: "باثان" الذي اعتمد في ذلك على المصدر الأول حيث فصل المعركة يوماً فيوماً، طبقاً لما جاء في "شش نامة"، تاريخ السند، 3/183-186، تاريخ الهند...."، ص 45، تاريخ المسلمين الأول.....، ص 19-20 وقد ذكر هذا الأخير أن تعداد الفرسان في جيش "داهر" بلغوا خمسين ألفاً ربما كان يقصد جيش داهر كان خمسين ألف رجل في مجموعة "إكرام" "تاريخ الحضارة..."، ص 5، انظر كذلك حاشية رقم: 90 تحت.

[3] شش نامة (ترجمته الإنجليزية)، ص 171-193 وقد أورد اسم المرأة أحياناً (راني ماين: Rani Main) – وكذلك يسمّى الابن (جاي سيا: Jaisiya جيسيه)

[4] راجع التفاصيل في "شش نامة" (ترجمته الإنجليزية)، ص 171-172، انظر كذلك: فتوح البلدان، ص 426.

"الروار" و"برهمان آباد"، مما فتحه المسلمون، وذلك بعد حصار دام قرابة شهرين، لكل واحدة منهما، كما يذكر مصنّف "شش نامة"[1].

قبل أن يتقدم إلى الشمال، باتجاه "برهمان آباد" يبدو لنا أن ابن القاسم رأى أن يستميل قلوب مواطني الأراضي المفتوحة حديثاً، أكثر فأكثر، فقام بتعيين شخصيتين بارزتين، في تاريخ تلك الفترة، فعيّن ابناً للملك "داهر" اسمه "نوبة"، وكان ممن استجاب لنداء القائد المسلم، بأن يدخل الناس في الإسلام، بعد أن أرسل خطابات إلى مختلف العشائر وعلية القوم، يدعوهم إلى الدخول في الإسلام ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أو دفع الجزية، ثم وعدهم الحماية والرعاية؛ فاستجاب له ابن "داهر" هذا، وكذلك وزيره "سيساكر" (Sisakar). وقد جعل محمد مقره في مدينة دهليلا[2]. كما قام بتعيين وزير (داهر)، الذي كان ممن استجاب لدعوة القائد المسلم، للدخول في طاعته، وزيراً ومستشاراً له. وحول هذا الشأن، يحدّثنا مصنف "شش نامة" قائلاً: (..... وعندما سمع سيساكر (Sisakar) وزير داهر، هذا الندء، أرسل بعضاً من ثقات خدامه، وطلب الحماية للدخول في طاعة محمد بن القاسم. وعند ذلك قام هذا الوزير فأرسل إليه النساء اللائي كنّ محتجزات عنده، وقال بأنهن أولئك اللواتي "أسرهن قراصنة داهر" وصرخن مستنجدات بالحجاج لإنقاذهن..."[3].

وهنا أبدى محمد بن القاسم احتراماً كبيراً، بعد أن رحّب بتلك البادرة الطيبة، لممثلي ذلك الوزير، وأرسل إليه بأن يقدم إلى عنده، كما أرسل كبار أمرائه

---

[1] الترجمة الإنجليزية، ص 174-175، حيث يذكر صاحب هذا المصنف، أن المسافة التي تفصل بين "برهمان آباد" و"هليلا" أو "دهليله" فرسخ واحد فقط أي حوالي 4 أميال (6،44) كيلاً تقريباً). أما "بهرور" فإنها ليست، كما يظهر، بعيدة عن "دهليلا" حيث لم أجد في مصادر مادتي ما يحدّد مكانها، ويبدو لنا، بأنها ليست بـ"غرور" التي أشار إليها البلاذري (فتوح البلدان، ص 426).

[2] لقد أورد مصنف كتاب "شش نامة" (ترجمته الإنجليزية)، ص 176، معلومات وافية، في هذا الخصوص، لا توجد في أي مصدر آخر، وخاصة في مصادرنا التي ألّفت باللغة العربية.

[3] يظهر لنا أن النساء المسلمات اللائي أسرهن القراصنة البحارة الهنود، وأخذن إلى "ديبل" حيث كان أسرهن أمر أعجل بفتح بلاد السند، كنّ تحت حراسة هذا الوزير وإشرافه، أثناء احتجازهنّ لدى الملك، "داهر" لذلك تقرب ذلك الوزير بهن إلى القائد المسلم محمد، وطلب الحماية كما تذكر هذه الرواية، راجع شش نامة (ترجمته الإنجليزية)، ص 175.

لاستقباله، وأظهر له تقديراً عظيماً، وعامله معاملة غاية في اللطف والاعتبار، وأسبغ عليه منصب الوزيرية. وبذلك أضحى "سيساكر" وزيراً لابن القاسم[1].

كانت هذه سياسة حكيمة، من محمد، حيث استمال، بعمله ذلك، وزير "داهر" فكان من نتائج هذه السياسة إطلاق النساء من أسر العدو؛ كما أراد أن يستفيد من خبراته، في إدارة البلاد. وبذلك يكون قد سحب البساط، تماماً، من تحت "جاي سينغ" باستمالة أخيه، وكسب جانبه هو ووزير أبيه؛ وفوق ذلك عيّن الأول حاكماً، والثاني وزيراً، فحال، بذلك بين "جاي سينغ" وبين اتحاد سكان أواسط وأعالي وادي السند تحت لوائه، وقد أثمرت هذه السياسة، فأخذ الناس يغدون إلى المسلمين، ويعلنون خضوعهم تحت سلطة الإسلام، اقتداءً بابن "داهر" ووزيره. وبذلك نجد أن صرخات الاستنجاد، وخطابات الدعوة التي وجّهها "جاي سينغ" إلى سكان "السند" للوحدة والوقوف أمام المسلمين بقيادته، لم تثمر، حتى مع الإخوة والمقربين من أبيه[2].

عندما لم يستجب أحد لنداءاته، وصيحات الاستغاثة، قام "جاي سينغ بن داهر" بتنظيم ما نعرفه اليوم بحرب العصابات، بعد أن هجر "برهمان آباد" التي سار إليها المسلمون، وأحكموا حولها الحصار، الذي استمر حسب أوثق الروايات، مدة ستة أشهر، فاستسلمت في يوم الأحد 29 من شهر ذي الحجة من عام 94هـ/25 أيلول/ سبتمبر سنة 712م. أما ابن "داهر" فقد فشل في حروبه، التي لم يكن لها جدوى، وهرب في نهاية الأمر إلى ملك "كشمير".

وقد رفض (هوديفالا) مسألة هروب "جاي سينغ" إلى ملك كشمير، أما التاريخ الذي ذكره مصنف "شش نامه" فإنه لا يتفق مع مجريات الأحداث، ومتناقض مع ما سبق ذكره في صفحات سابقة. وقد فاتت على المترجم، والمحقق (ايلليوث ودوسون)، وكذلك على كل من نقل عنه من المؤرخين اللاحقين. ولم يشر أحد إلى ذلك. غير أنّ (هوديفالا) قد صحّح الأيام وأسماءها الواردة خطأ عند هذا المصنف. وكان قد سبق وأشار إلى هذا الخطأ، الذي جانبه المصنف، فصحّحه، حسب قوله، بأن جعل ذلك في العام السابق، أي في عام 92هـ/ 711م. وهذا أيضاً خطأ، لأن محمد بن القاسم استدعي من جبهة القتال في منتصف عام

---

[1] الترجمة الإنجليزية، 175/1-176

[2] فيما يتعلق بنداءات "جاي سينغ" وخطاباته إلى إخوانه وإلى أمراء المناطق، راجع: شش نامة (الترجمة الإنجليزية)، ص 174.

96هـ/ ربيع سنة 715م، وهو على مشارف "مملكة كشمير" فلا يعقل أن يظل تلك السنوات ما بين "برهمان آباد" و"الملتان" وقد زالت أكبر عقبة في طريقه وهي مقتل "راجا داهر". لذلك فإن الذي يظهر لنا كما يلي: أشار صاحب "شش نامة" أن راجا داهر "قتل وهزم جيشه، كما مرّ معنا في شهر رمضان عام 93هـ/حزيران يونيه سنة 712م. وأن فتح كل من قلعة "بهرور" و"دهليلا" قد استغرق قرابة أربعة أشهر من بعد مقتل "داهر". ومعروف أن مدينة "برهمان آباد" لم يفتحها المسلمون إلا بعد هزيمة "داهر". إذاً فكيف يكون حصارها في شهر رجب عام 93هـ/ نيسان أبريل سنة 712م، قبل ذلك ويستمر حصارها، وكما أورد المصنف، ستة أشهر أي حتى أواخر شهر ذي الحجة من عام 93هـ/تشرين الأول/ أكتوبر سنة 712م؟ إذاً، فلا بد أن يكون العام المقصود هوعام 94هـ /712-713م. بناء على ذلك فلا بد أن الحصار بدأ في يوم السبت أول رجب عام 94هـ / الموافق للثاني من نيسان /أبريل سنة 713م، واستمر ستة أشهر حيث اقتحم المسلمون قلعة "برهمان آباد" في يوم الأحد 29 من ذي الحجة عام 94هـ/ الموافق 25 أيلول/سبتمبر عام 713م. وإضافة إلى ذلك فإن حملة ابن القاسم قد جعلها اليعقوبي في عام 92هـ وهو الصحيح، بعد أن قضى ستة أشهر في شيراز للاستعداد للحملة[1].

فتح عاصمة السند "الور" (Alor) [2]

بعد أن انتهى المسلمون من القضاء على "داهر" وقتله في معركة "الراور" وما نتج من جراء ذلك، حيث فتح المسلمون كافة أراضي السند السفلى، وعلى رأسها عاصمتها الإقليمية "برهمان آباد" كان لا بدّ من السير شمالاً، على الاتجاه نفسه، لفتح عاصمة الهندوس الكبرى في وسط أراضي "السند" لأن فتحها يعني دخول تلك الأراضي، من وسط مملكة "داهر" تحت سلطان

---

[1] راجع في هذا الخصوص: شش نامة (الترجمة الإنجليزية)، ص 177 وبعدها، وفتوح البلدان، ص 426، والكامل في التاريخ، 112/4، وتاريخ اليعقوبي، ص 288 ودراسات نقدية..."، ص 93-94.

[2] تقع مدينة "الور" (Alor) وهي "رهري" (Rohri) الحالية على الضفة الشرقية لنهر "مهران" وهو نهر السند المعروف، في منتصف المسافة تقريباً بين "دبيل" على شاطىء البحر العربي، ومدينة "الملتان" في وسط وادي السند، والمسافة بين المدينتين الأخيرتين حوالي 900 كيلاً، تقل أو تزيد قليلاً ...انظر: تاريخ السند، 190/3، والمسلمون الأول ..."، ص 26.

الإسلام. لذلك فقد سار ابن القاسم من منطقة "برهمان آباد" بعد أن رتّب أمور إدارة المناطق المفتوحة، في أوائل العام التالي، وهو على ما نعتقده، عام 95هـ / تشرين الأول/أكتوبر سنة 713م[1].

اتجهت القوات الإسلامية شمالاً، ونهر "السند" إلى يسارها، أي إلى الغرب، وفي الطريق استقبله سكان منطقة "ساوندي" بالترحاب، والرقص والغناء الشعبيين، وأعلنوا خضوعهم تحت سلطة الإسلام[2]. ثم سارت، بعد ذلك، حتى وصلت منطقة العاصمة الكبرى لـ"مملكة السند" وقتذاك[3].

كان أحد أبناء الملك "داهر" يتولى شؤون العاصمة، والدفاع عنها، وهناك حشد كل طاقاته داخلها، اعتقاداً منه، على ما يمكنني فهمه من الروايات التاريخية التي تمكّنت من الاطلاع عليها، أن والده ما يزال حياً[4]. وهذا الاعتقاد كان سائداً حتى بين الأوساط الشعبية. هنا يحدثنا مصنف "شش نامة" أن سكان مدينة "الور" كانوا يدافعون عنها بروح معنوية كبيرة، للاعتقاد عينه؛ وأن ملكهم، وخاصة من جانب الهندوس كان يسير في طريقه لإنقاذهم من جيش المسلمين.

---

[1] يذكر مصنف "شش نامة" (ترجمة ايللبوت ودوسون، ص 190)، وعنه نقل كل من جاء بعده، أن محمد بن القاسم غادر "برهمان آباد" يوم الخميس الثالث من شهر محرم عام 94هـ/الموافق لـ9 تشرين الأول/أكتوبر، عام 712م، وهذا خطأ على ما أظن، لأن الثالث من الشهر المذكور من هذا العام ليس يوم الخميس، وإنما يصادف يوم الأحد. وإذا تمشينا مع ما نعتقد أنه هو الصحيح، وأن العام المقصود هو العام التالي" (95هـ/713م) فإن اليوم الذي غادر فيه محمد "برهمان آباد" هو فعلاً يوم الخميس الثالث من محرم عام 95هـ/28 أيلول/سبتمبر سنة 713م، وليس العام السابق وهنا رجع هوديقالا في (دراسات.....)، ص 96 إلى هذا القول، مناقضاً بذلك نفسه في ص 93 حيث قال في هذه الصفحة إن اليوم الصحيح الذي قتل فيه "داهر" هو العاشر من رمضان عام 92هـ. وهذا بطبيعة الحال خطأ لأن "داهر" بموجب حساباتنا قتل في العام التالي، وهو عام 93هـ.

[2] "ساوندي" أو "ساوندسي" أو "ساوندر"، راجع في ذلك: تاريخ الهند....."، ص150-190 كذلك: فتوح البلدان، ص 426. ولا أظن أن هوديفالا، "دراسات. "، ص 96، مصيب، عندما ذكر أن هذه المنطقة تقع جنوب مدينة "برهمان آباد" بحوالي أربعة أميال، لأن الجيش متجه شمالاً لا جنوباً فلا بد إذًا أن تكون شمال "برهمان آباد" وليس جنوبها.

[3] لمعلومات عن سير الحملة وكيفية استقبال مواطني "وادي السند" لمحمد بن القاسم وجيشه، حتى وصلوا "الور" راجع تقاصبل ذلك في "شش نامة" (ترجمة ايللبوت ودوسون الإنجليزية)، ص 90-192.

[4] يسمّى مصنف "شش نامة"، ص 192 ذلك الابن (كوفي) و(فوفي) عند لال، (المسلمون الأول...."، ص 25) كذلك يرساد، (تاريخ الهند....، ص 480)، أما باثان (تاريخ السند....، ص 190) فيسمّيه غوبي (Gopi).

لهذا، فقد كانوا يصرخون في قوات المسلمين التي أطبقت على مدينتهم محاصرة لها، لإعلامهم بأن "داهراً" قادم بقوات كبيرة، ويحثون المسلمين بأن يهربوا قبل أن يصل ملكهم فيقضي عليهم. ويستمر هذا المصنف في حديثه عن هذا الموضوع فيقول بأن المدافعين استمروا على ذلك الوضع، وعدم الانصياع للنداءات التي ترسل لهم للاستسلام للمسلمين بالتي هي أحسن، حتى أخرج ابن القاسم إليهم إحدى نساء ملكهم، الأسيرات لدى المسلمين فأعلمتهم بحقيقة الوضع، وأن ملكهن قد قتل[1]. بعد ذلك شرع المدافعون في فتح باب المفاوضات السلمية، فاستسلمت المدينة للفاتحين، ودخل المسلمون عاصمة مملكة السند"[2].

من الشخصيات الهامة، التي استسلمت لابن القاسم "كاكسة بن جندر بن سلايج" وهو ابن أخي "داهر"[3]. وما يمكننا فهمه، مما أورده صاحب "شش نامة" أنّ ما كان يضمره القائد محمد بن القاسم، من شعور طيب، تجاه أفراد أسرة "داهر" الذين كانوا يأتون إليه مستسلمين عن طواعية واختيار، قد ظهر على فلتات لسانه. فقد أثنى عليهم، بوصفه لهم بأنهم "ينتمون إلى أسرة عريقة من أسر "الور"، فهم أناس عقلاء، ومثقفون، وأنهم جديرون بالثقة، لأنهم أمناء. فهم مشهورون بالأمانة والصراحة....." لذلك، فإنهم إذا ما جاءوا إليه فإنهم سوف يكرمون، ويصفح عنهم[4].

كانت هذه من سجايا ابن القاسم، لاستمالة القوم وكسب قلوبهم، لذلك آتت هذه السياسة الحكيمة ثمارها، حيث شجعت ذلك الأمير بأن يأتي إليه، ويعلن استسلامه. فاستقبله القائد المسلم، ورحّب به، وعفا عنه؛ على الرغم من سوابقه، حيث كان ممن حارب إلى جانب عمّه "داهر" ضد المسلمين، في معركة "الراور" ثم هرب، بعد مقتل عمه. وثق به محمد بن القاسم غاية الثقة، حيث كان ذا ثقافة عالية، وكان يعدّ واحداً من فلاسفة الهند. فأخذ يستشيره، في كل

---

[1] وتدعى "لادي" (Ladi)، "شش نامة" (ترجمة ايليوت ودوسون)، ص 192. راجع كذلك حاشية رقم: 76 أعلاه.

[2] راجع تفاصيل ذلك في المصدر السابق، ص192-197. أما المعلومات التي أوردها البلاذري، (فتوح البلدان، ص 426) وغيره من المصادر العربية الأولى فإنها هزيلة، إذا ما قورنت مما جاء في هذا المصدر المهم.

[3] لمعلوت إضافية في هذا الخصوص، راجع: المسلمون الأول...."، ص 25، وتاريخ الهند....."، ص 48-49.

[4] شش نامة (الترجمة الإنجليزية)، 202/1.

صغيرة وكبيرة، ويستعين به، في كيفية إدارة البلاد الجديدة، فكان "كاكسة" يشير بما هو في صلاح المسلمين، وصالح البلاد وأهلها. وفوق ذلك تذكر الروايات بأنه أصبح من أول من يأخذ السلاح، من بين بقية الأمراء وكبار القادة ويحمله مقاتلاً إلى جانب المسلمين. لهذا نجد القائد المسلم يعيّنه مستشاراً، ويطلق عليه لقب "المشير المبارك". وقد مرّ معنا سابقاً أن وزير "داهر" نفسه كان قد انضم إلى ابن القاسم، فعيّنه وزيراً له. ويبدو لنا أن (كاكسة) قد أصبح مستشاراً خاصاً، و(سيساكر) وزيراً[1].

لقد أثمرت سياسة ابن القاسم التسامحية مع سكان السند، حين سهلت عليه مهمته في الميدان العسكري، لذلك لم تقف في وجه جيشه مدينة ولا قلعة.

فتح أعالي وادي السند، وعاصمته الملتان[2]

لم أعثر في مادتنا التاريخية، التي تسنى لنا الرجوع إليها، على تواريخ تذكر الزمن الذي فتح فيه الجيش الإسلامي مناطق أواسط السند وأعاليه. حيث نعرف أن هذا الجيش غادر مدينة "برهمان آباد" في أوائل عام 95هـ / أواخر سنة 713م، وقد تكون أخذت منه المسافة بين هذه المدينة، وعاصمة "داهر" "الور" قرابة ثلاثة أشهر[3]. وهذه الفترة الزمنية فرضية فقط، ويمكننا معها القول إن الفترة التي استغرقها جيش المسلمين، في حصار، وفتح "الور" وما يجاورها، مع فترة للراحة، هي الأخرى ثلاثة أشهر[4]. لذلك، فقد بقي لدينا الآن سنة كاملة تقريباً، من المدة الكلية التي قضاها محمد بن القاسم في "السند" حتى قبض عليه في رجب عام 96هـ /نيسان، أبريل سنة 715م، كما سيرد معنا في آخر هذا البحث، من "فتوح السند".

بعد أن رتّب أمور المناطق الوسطى، لـ"وادي السند"، بمساعدة أهلها ومشاورتهم، وعلى رأسهم مستشاره المبارك، ووزيره، نجد الجيش الإسلامي يسير في اتجاه الشمال الشرقي، في طريقه إلى أراضي "وادي السند العالية".

---

[1] المصدر السابق، ص 203. فيما يتعلق بحسن سياسة ابن القاسم راجع في ذلك: تاريخ باكستان....، 12/2.

[2] انظر الحاشية رقم: 97 تحت.

[3] الأشهر؛ محرم، وصفر، وربيع الأول من عام 95هـ/تشرين الأول والثاني وكانون الأول/ أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر من سنة 713م.

[4] ربيع الثاني، وجمادى الأول، وجمادى الثاني، من نفس العام المذكور سابقاً في حاشية: 95، والموافقة لثلاثة الأشهر الميلادية من أول عام 714م.

صوب عاصمتها العريقة مدينة "الملتان"[1]. لو نظرنا إلى موقع "مدينة الملتان" لوجدناها تحتل الوسط من المنطقة الوسطى، تقريباً، من أراضي السند العليا، وهذه المنطقة هي المتاخمة لمنطقة ولاية "كشمير"، وهي ولاية "إقليم البنجاب" في الباكستان الحالية.

تحدثنا مصادر مادتنا التاريخية، في هذا الشأن، أن ملك "الملتان"، ويدعى "راجاكندا" (Raja Kanda) قرر مناجزة المسلمين، ظناً منه بأنه سيحرز نصراً عليهم[2]. ولعل بعض الأسباب، التي جعلته يتخذ ذلك القرار ما يلي:-

1-قرب مملكته من حدود مملكة "كشمير" ووجود صلات ودية بين الطرفين، فرأى أن يطلب نجدة ومساعدة أهل "كشمير" ضد المسلمين، كعدو مشترك لهم. لذلك فقد راسل ملكهم، وطلب منه إرسال نجدات عسكرية وغيرها، ظناً منه بأنه سوف يتلقى طلباته بسرعة منه، لمعرفته أن المسلمين سيغزون أراضيه، فور الانتهاء من أراضي "الملتان". لذلك، فقد رأى ملك "الملتان" أن الأولى لصديقه ملك "كشمير" أن يساعده في حرب المسلمين خارج أراضيه، لا بعد أن يأتوا إليه، ويحاربهم وهم في عقر داره؛ ربما يفقد معها مملكته وحياته ومن يلوذ به. من هذا المنطلق، على ما يبدو لنا، كانت الرؤيا قد ارتسمت في ذهن ملك "الملتان"، وما كان يعتقده تجاه تعامله مع ملك "كشمير".

2-حصانة "مدينة الملتان"، فقد رأى ملكها، أنه إذا ما اضطر إلى اللجوء إليها، بعد هزيمة مع الأعداء فإنه سيلجأ إلى معقله الذي يصعب، بل يستحيل لأية قوة، اقتحامه. لذلك سنجد أن الجيش الاسلامي لم يستطع أخذها بالقوة، لمناعتها، إلا بعد أن أطلع قائدهم، من قبل أناس كانوا محاصرين داخل القلعة نفسها، ومن سكانها، على منطقة الضعف، التي يمكن فتح المدينة من خلالها. وقد اختلفت الروايات، ذات الصلة، حول نقطة الضعف تلك، كما سنشاهد، ومع ذلك سنرى أن المدينة لم تفتح إلا بشكل غاية في الصعوبة.

---

[1] عن مدينة "الملتان" راجع: المعاجم الجغراقية الواردة في الحاشية: رقم: 30 وإن كان كلام مصنفيها عائماً ومكرراً. فقد أوردها المقدسي، (أحسن التقاسيم ---، ص 480-481) وابن حوقل (صورة الأرض، ص 277-278) وغيرهما إلا أن باثان (تاريخ السند....، 371/3 وبعدها) أورد معلومات طيبة عنها.

[2] لمعلومات عن تاريخ "الملتان" القديم، انظر: تاريخ السند....، ص: 372-373.

3-هروب حاكم مدينة "السكة"، ويدعى رائي بجهرا (Rai Bajahra) إلى ملك "الملتان" بعد هزيمته واحتلال مدينته، وتحريضه له بأن يحارب المسلمين، حيث رأى أن في وجود حاكم "السكة" معه عاملاً مقوياً، ومشجعاً له، لمنازلة المسلمين[1].

بعد أن فتح المسلمون مدينة "بهاتيا" (Bahatiya)[2] ساروا منها إلى مدينتي "إسكلنده" و"السكة"، فأخذوا الأولى بعد سبعة أيام من الحصار، أما الثانية، فقد استغرق حصارها قرابة سبعة عشر يوماً، واستشهد من المسلمين قرابة مائتين وأربعين، بين قائد وجندي[3].

لم يتلق ملك "الملتان" استجابة من جاره الشمالي، كما كان يتوقع. لذلك لم ير جدوى للخروج من معقله الحصين، لمقابلة المسلمين، فأخذ يشحن قلعته بالمؤن والذخائر، ما يستطيع معها مقاومة حصار المسلمين، مهما طال. وفعلاً فقد طال حصارهم له، والذي ضربه محمد بن القاسم ورجاله حول قلعة "الملتان" المنيعة، لأكثر من شهرين، دون الوصول إلى النيل منها، حيث لقي المسلمون الأمرين، وعانوا أشد المعاناة وأقساها. فقد قلّت المواد التموينية، والغذائية منها على وجه الخصوص، لدرجة لجأوا معها إلى أكل الحمير. وفي هذا الخصوص يحدثنا البلاذري قائلاً " ..... ونفدت أزواد المسلمين فأكلوا الحمر...."[4]. أما صاحب مصنف "شش نامة" فيقول " ---- وأخيراً نفدت المواد الغذائية وعزت لدى المسلمين، إلى درجة أن ثمن رأس الحمار ارتفع حتى بلغ خمسمائة درهم.....)[5].

لا بد أن تكون أوضاع المسلمين المحاصرين السيئة قد وصلت إلى حاكم القلعة، ورغم ذلك وجد أنهم مستمرون، ومصرون على الحصار، حتى يقتحموا مدينته. لذلك خافهم، وقرّر الهروب، فدبّر له أمره، ونجح في ذلك، حتى إنه خرج من المدينة، وهرب إلى ملك "كشمير" دون علم المحاصرين له.

---

[1] راجع في ذلك: تاريخ باكستان، 12/2

[2] تقع هذه المدينة على نهر "بياس" (Biyas) في إقليم البنجاب السفلي، دولة الباكستان الحالية. راجع: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[3] راجع في هذا الشأن: شش نامة (ترجمة ايلليوت)، ص 203-204، وفتوح البلدان، ص 427، انظر أيضاً: الكامل في التاريخ، 112/4.

[4] فتوح البلدان، ص427.

[5] ص 204.

أدّى تصرف ملك "الملتان" هذا إلى أن بعض سكان المدينة خرج إلى قائد المسلمين، وطلب منه الأمان في سبيل إعلامه الطريقة التي يمكنه معها اقتحام المدينة. وحول هذه المسألة، يحدثنا مصنف "شش نامة" بأن، رجلاً (لم يذكر اسمه) خرج إلى محمد بن القاسم مستأمناً، وأخبره بأن المدينة يمكن أن يدخلها المسلمون إذا ما هم ركزوا جهودهم على سور من الناحية الشمالية منها، فتم ذلك. وبعد ثلاثة أيام اجتاح المسلمون "مدينة المتان"[1]. أما البلاذري، فيذكر بأن ذلك الرجل، الذي جاء إلى محمد بن القاسم، قد دل المسلمين إلى مجرى لماء، كان يدخل إلى المدينة فيغذيها باحتياجاتها من الشرب، دون علم المسليمن به. وهناك غوّر المسلمون مجراه حتى لم يعد يصل إلى المدينة الحصينة شيء منه، فأخذ منهم العطش كل مأخذ. بعدها نزلوا على حكم ابن القاسم، فدخل المسلمون المدينة[2].

لم تذكر مصادرنا العربية التى تسنى لي الاطلاع عليها أية فتوحات جديدة لجيش المسلمين، بقيادة ابن القاسم، بعد مدينة "الملتان" بحيث جعلت، على ما يبدو لي، هذه المدينة آخر فتوحات ذلك الشاب الفاتح في بلاد "السند والهند"[3].

إن هذا الأمر، على ما يبدو لي، غير صحيح، لأننا لو تتبعنا مجريات الأحداث في هاتيك البقاع، حسب التواريخ الزمنية لوجدنا أن محمد بن القاسم قد ظل حوالي سنة كاملة مقيماً في "الملتان" وما جاورها، وهذا شيء غير متوقع، من هذا المجاهد الشاب، وخاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن شؤون الفتح والإدارة بعد فتح هذه المدينة أو تلك لم يكن يستغرق أكثر من شهر، على أقصى حد. هذا إضافة إلى أننا لم نجد في مصادر مادتنا ما يدل على شيء قد يكون حبس جيش المسلمين وقائده في "الملتان" سنة كاملة.

بناء على ذلك وعلى ما يمكن استنتاجه، فإن فتح مدينة "الملتان" والمنطقة التي حولها، ربما يكون قد تم خلال النصف الثاني من عام 95هـ/ آخر النصف الأول من سنة 714م. لهذا، فإنه يمكننا القول بأن ابن القاسم ربما غادر منطقة "الملتان"، والواقعة في أواسط "إقليم البنجاب" الحالية، في أوئل عام 94هـ

---

[1] ص 204-205.

[2] فتوح البلدان، ص427.

[3] المصدر السابق، ص 427-428، وغيره ممن نقل عنه، كابن الأثير (الكامل في التاريخ، 4/133,102-134).

/أوائل النصف الثاني من سنة 714م، متجهاً شمالاً باتجاه مملكة "كشمير". وهنا يحّدثنا مصنف "شش نامة" أن محمداً غادر" الملتان" إلى الشمال بعد أن بنى مسجداً جامعاً بها؛ ورتّب أمورها، وعيّن حاكماً عليها حتى وصل منطقة سمّاها المؤلف بـ"أراضي الأنهار الخمسة"[1]. وهذه المنطقة حدّدها المصنف بأنها منطقة الحدود بين ولايتي "السند"، جنوباً و" كشمير"، شمالأ حيث ذكر أن محمد بن القاسم، عندما وصل إليها، قام بتجديد معالم الحدود بين تلكما الولايتين[2]. إذاً، لو أمعنا النظر في موقع هذه المنطقة المذكورة، لوجدنا أن جيش المسلمين قد واصل السير شمالأ حتى وصل، ربما إلى الشمال الشرقي من مدينة "لاهور" الحالية، وهذا ما تؤيده رواية تذكر أن ملك "كشمير" أرسل إلى الصينيين يطلب منهم النجدة ضد جيوش المسلمين، التي أضحت قاب قوسين من بلاده[3].

توقف الفتوحات الإسلامية في "الهند والسند" على أيدي العرب المسلمين

في أواخر النصف الأول من عام 96هـ/ أوائل سنة 715م، أصبح ابن القاسم يحكم جميع مناطق "نهر وادي السند"، وأضحى على مشارف حدود مملكة "كشمير"، ويطل على حدود "راجيبوثان" من ناحيته الغربية، من هناك، أخذ يخطط، على ما يبدو لنا، لحملة يقوم بها ضد أحد الإقليمين، ولعل الأخير كان هدفه، للأسباب التالية:

1 -سهولة أراضي إقليم "راجيبوثان" وعلى العكس منه مملكة "كشمير" الجبلية الوعرة المسالك.

2 -كان الجو ما يزال بارداً، إذ أنه كان في أواخر أشهر شتاء عام 94هـ/714-715م.

---

[1] ربما أن المصنف كان يقصد بالأنهار الخمسة: "نهر بياس" ويعتبر رافداً رئيسياً له و"نهر ستليج"، والثالث "نهر رافي"، و"نهر جناب"، و"نهر جهيلام" من الشرق إلى الغرب على التوالي، والتي تكون جميعها مجرى نهر السند الكبير وقد ورد ذكر الأنهار الخمسة هذه عند ابن بطوطة (رحلته...."، 448/2) باسم "بنج آب" أو "المياه الخمسة".

[2] يذكر هذا المصنف، (شش نامة-الترجمة الإنجليزية، 207/1)، أن والد "داهر"، وهو تش بن سلايج (1-46هـ/622-666م) كان قد وضع معالم تلك الحدود، وذلك بزراعة أشجار التنوت والجور، لتكون الحد الفاصل بين ذينك الإقليمين.

[3] تاريخ الحضارة....، ص5-6.

3 - إن "البنجاب" في كل من "الهند والباكستان" الحاليتين، ما هو إلا أرض واحدة مستوية السطح، وقريبة الشبه بالجزيرة العربية.

ومع ذلك، فلا يمكننا إلا القول، بأنه مهما كانت نوايا ومخططات ذلك الفاتح العظيم، والمجاهد الكبير، إن شاء الله، فإن الله قدر أن يقف في فتوحاته في "بلاد الهند والسند" حيث كان قد وصل؛ وأن تتوقف معه الفتوحات الإسلامية، في تلك البلاد الطيبة، على أيدي العرب المسلمين، حيث وقف. ويستمر توقف المدّ الإسلامي هناك لأكثر من ثلاثة قرون ونيف؛ بعدها يستأنفه المسلمون، ولكن من غير العرب، على أيدي الغزنوبين الأتراك وذلك في أوئل القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر الميلادي، هذا إذا استثنينا بعض الهجمات السريعة، وغير المستقرة، أيام قادة خلفوا ابن القاسم على أرض "الهند والسند".

جاء سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/715-717م) إلى الخلافة الأموية بعد وفاة أخيه الوليد بن عبد الملك، فكان أول عمل قام به، تجاه الفتوحات في بلاد "الهند والسند "، أن عزل محمداً من القيادة، وفوق ذلك أمر بأن يرسل إلى العراق مكبلاً في الأغلال، وزجّ به في سجن خصومه، فتولوا تعذيبه حتى مات. وهذه مسألة معروفة لدى كل باحث وقاريء. لذلك لم أجد داعياً، أو ضرورة لتكرار شيئ من تلك المأساة التي حلّت بـ"فاتح السند" العربي المسلم. ولكن لنا هنا تعليق قصير، وهو أن أجر محمد بن القاسم قد ثبت، إن شاء الله، عند رب السماء والأرض، ومن فيهن، إن كان قد ضاع عند طالبي الدنيا، من هذا أو ذاك . ولقد كان عزل محمد، من قيادة تلك الجبهة، قد أفقد المسلمين عامة، وبني أمية، وعلى رأسهم الخليفة الذي عزله خاصة، الشيء الكثير. فقد صدق، والله، محمد عندما تمثل بقول القائل:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغـــــر[1].

---

[1] فتوح البلدان، ص 428، فيما يتعلق بنهاية هذا القائد، راجع هذا المصدر، الصفحة نفسها أما القصة التي أوردها مصنف "شش نامة" (الترجمة الإنجليزية، ص 209-211) فلا شك أنها قصة خيالية، وترهات لا أساس لها من الصحة. وقد أورها مؤرخون جاءوا فيها بعد فنقلوا عن هذا المصنف، مثل، فريشتا (تاريخ....، 239/4) وغيره. ولعل منشأ هذه القصة في مصنف الكوفي، إن كان صادقاً، من أن كتابه هذا ترجمة من مصنف باللغة العربية، وهو معاصر أحداث فتوحات ابن القاسم في السند، أن ذلك المصنف العربي وهو مقيم بأرض السند، قد أخذه الذهوق، ولم يفهم سرّ استدعاء محمد بن القاسم، وهو مكبل في الأغلال، مع

فقد أضاع سليمان محمداً، بعزله عن تلك الجبهة التي كانت من جبهات الجهاد في سبيل نشر الدين الإسلامي، وشريعته السمحاء، وأضاع معه ثغر "بلاد الهند والسند".

لقد كان ابن القاسم قائداً، صدق الله الجهاد في سبيله، فصدقه الله وعده له بالنصر- "وكان حقاً علينا نصر المؤمنين"، كان متميزاً، في خلقه وفي تعامله مع سكان المناطق المفتوحة؛ وفي حنكته السياسية؛ وفي إدارته الفذة؛ وفي عسكريته النابغة؛ وفوق ذلك كله، في إخلاصه لمعتقده. كان ليناً فوق العصر، ويابساً دون الكسر. أحبّ الناس الذين حوله، فأحبّوه وأخلصوا له. احترم أهل البلاد المفتوحة غاية الاحترام، فأعطى كل ذي حق حقه وزيادة؛ فوفوا له، وأخلصوا في وفائهم له؛ وبذلوا دمائهم دونه، مقاتلين بني قومهم وأهليهم دونه. إن الزائر للبلاد التي فتحها محمد بن القاسم في هذا الوقت، وبعد مرور أكثر من ثلاثة عشر قرناً، ليسمع على شفاه سكان هاتيك البلاد ذكرى محمد الطيبة، تعيش معهم، يومياً؛ فلا يذكرون اسمه مجرداً بل يسبقونه بـ: سيدي أو مولاي، عماد الدين محمد بن القاسم. ولأول مرة أسمع لقبه "عماد الدين" فرحم الله ذلك المجاهد رحمة واسعة. آمين.

"بلاد الهند والسند" بعد ابن القاسم

على الرغم من الجهود المضنية، التي بذلها قادة "ثغر السند" الذين جاءوا بعد محمد بن القاسم، فقد ضاع في النهاية أغلب ما فتحه العرب المسلمون، مع قائدهم محمد. وعلى الرغم من دخول "حكام السند" جميعاً تقريباً، في الإسلام، استجابة لدعوة الخليفة الأموي الصالح عمر بن عبدالعزيز (99-101هـ/717-720م) بأن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وبقائهم حكاماً لبلادهم تحت المظلة الإسلامية، مظلة العدل والرحمة، فقد نبذوا الإسلام، وحاربوا المسلمين، وأخرجوهم من "بلاد السند العليا، والوسطى"؛ ولم يبق لهم إلا أجزاء قليلة في

بلائه في فتوحات السند، بسرعة، وبهذه الكيفية، وأخذ منه ذلك التصرف، من قبل الخليفة في دمشق، كل مأخذ. لذلك، هداه تفكيره، وربما أن ذلك قد شاع في أوساط الناس في أرض السند آنذاك، إلى الربط بين هذه الحادثة، وهي استدعاء ابن القاسم على هذه الصورة، وبين إرسال بنات الملك "داهر" إلى العراق، ومن ثم إلى الخليفة، في دمشق وإنهن كن المتسببات في استدعاء ابن القاسم، وقتله فيما بعد.

مناطقه السفلى؛ كل ذلك نتيجة عدم وجود قائد وأمير كمحمد بن القاسم، أو خليفة كعمر، رضي الله عنه وأرضاه[1].

انحصر جهد المسلمين ونفوذهم في معقلين بناهما العرب المسلمون، هناك، هما "المحفوظة" و"المنصورة[2]. ثم إن المسلمين هناك انشغلوا بالحروب الطاحنة بينهم، فأضحى تاريخهم مترعلاً بأحداث مؤلمة، مليئة بالصراعات بين القوى الإسلامية والهندوسية، وبعد أن استتب الأمر للمسلمين جاءت موجة من الصراعات القبلية العربية، لعصبيات منتنة ومقيتة، بين عرب الشمال وعرب الجنوب، وما أن خبا سعيرها، حتى أعقبه صراع أشد ضراوة منه بين المذاهب الإسلامية التي خرجت عن المنهج المحمدي[3].

كان منصور بن جمهور الكلبي، كما قلنا في حاشية سابقة[4]، هو آخر أمراء بني أمية حيث دخلت "بلاد السند" في ظل الحكم العباسي، حوالي 132هـ / 750م، واستمر ولاتهم يحكمون حتى عام 240هـ/1155م، حيث كان عمر بن عبد العزيز الحبّاري، آخر أمراء الدولة العباسية هناك، وفي تلك السنوات الأخيرة،

---

[1] فتوح البلدان، ص 429 وبعدها، لمعلومات إضافية عن هذا الخليفة، الصالح إن شاء الله، راجع سيرته في: سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم.

[2] تقع مدينة "المحفوظة" بالقرب من مدينة "برهمان آباد" وعلى مرأى منها، وإلى الشمال الشرقي من مدينة "حيدر آباد" الحالية، وعلى بعد 64 كيلاً (40 ميلاً) منها، وقد بناها الحكم بن عوام الكلبي، أما مدينة المنصورة التي بناها عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي فتقع على بعد 13 كيلاً (8 أميال) تقريباً من مدينة "برهمان آباد"، راجع في هذا الحصوص: المعاجم الجغرافية الإسلامية، تحت اسم المنصورة بأرض السند، مثل القزويني في "نزهة القلوب" ومجهول المؤلف "حدود العالم" ، وياقوت الحموي، في معجمه، ولم يأت جديد في هذه المصادر بمعلومات ذات بال عن هذه المدينة إلا أن الأخير قد أورد، نقلاً عن المسعودي، القول بأن منصور بن جمهور الحميري، وهو آخر أمراء بني أمية هو الذي بناها. وهذا على ما يبدو خطأ، فالذي بناها، كما ذكر ذلك البلاذري، عمرو بن محمد بن القاسم وهذه إشارة سبقنا إليها ايلليوت، (تاريخ الهند...، ص 374) حاشية: رقم: 1، راجع أيضاً، هذا المصدر، "شش نامة" (الترجمة الإنجليزية)، ص 371 وبعدها، وكذلك: "دراسات...."، ص 18 من مقدمته.

[3] فتوح البلدان، ص 429-433، وتاريخ معصومي، الفصلين الأول والثاني، وشش نامة (الترجمة الإنجليزية)، وتاريخ الهند...."، ص 204 وبعدها، ومن المراجع الحديثة: تاريخ السند...، 204/3 وبعدها، والمسلمون الأول....."، ص 26-27 وتاريخ الحضارة ---، ص 14-16، وتاريخ الهند، ص 50 وبعدها

[4] راجع الهامش رقم: 54

أسّس عمر هذا له بتلك الديار دولة مستقلة، حكمت حتى جاء الغزنويون عام 416هـ /1026م فقضوا عليهم، وأصبح تاريخ "بلاد السند" بعد ذلك مرتبطاً بمدينة غزنة، حاضرة الغزنوبين، ثم بتاريخ الأسر التي خلفت الغزنويين، كالغوربين ومماليكهم، حتى جاء المغول، وأدخلوا تلك الديار، فأضافوها تحت نفوذهم، وبذلك انقطعت بلاد وادي السند سياسياً، وإدارياً عن مركز الدولة الإسلامية في دمشق، أولاً، ثم في بغداد، ثانياً منذئذ. وكانت بداية هذه النهاية تنحية ابن القاسم عن قيادة ثغر بلاد "الهند والسند"[1].

بعض نتائج هذه الدراسة

لقد رأيتني، في هذا البحث المتواضع، أنني قد توصلت إلى بعض النتائج التي أرجو أن أكون قد وفقت إليها، لإفادة القارئ العربي عامة، والباحث المؤرخ خاصة، فلعل من هاتيك النتائج:-

(1) الرد على بعض مؤرخي (بلاد الهند والسند) المتحاملبين، في رواياتهم ضد الفتح الإسلامي عموماً، وحملة محمد بن القاسم على وجه الخصوص، حيث يذكر بعضهم بأنها حملة توسعية، استعبادية، متخذة من الدين مطية، لتحقيق طموحات الحجاج وأغراضه.

(2) إن النجاح الكبير الذي حققه ابن القاسم، في تلك الحملة، كان يعود، وبالدرجة الأولى إلى التمسك بالعقيدة الإسلامية، وسيرة السلف الصالح، فكان يعامل البلاد وسكانها، طبقاً لما جاء في الشرع الحنيف، فأحبّه الناس وانضووا، طائعين، تحت سلطانه، سلطان الإسلام.

(3) رفع ابن القاسم، الظلم عن أهل البلاد، فبكوه عندما غادرهم؛ وهذا بعكس أقوال بعض ذوي الأهواء، من مؤرخي هاتيك البقاع المحدثين.

(4) التعريف بالأماكن، وتحديد مواضعها، بالأكيال، بقدر ما في وسعي، وطاقتي. والتعريف بأسماء الشخصيات الهامة، والواردة في حملة ابن القاسم.

(5) الاستفادة من مصادر هامة، في موضوع محمد بن القاسم، دوّنت باللغة الفارسية، أو بلغات غيرها، كالسنسكريتية، والهندية الحديثة مثلاً، والتي ترجمت إلى اللغة الإنجليزية، وتسنى لنا الاطلاع عليها.

---

[1] الحاشية السابقة نفسها، ومصادرها نفسها ومراجعها.

(6) تحديد حركات حملة ابن القاسم، بالتاريخ، حسب اجتهادي، وعزائي إن أخطأت، أنني اجتهدت.

(7) أهمية وقوف الإدارة المركزية، المهتمة والحازمة، خلف قائد هذه الحملة أو تلك، ومتى أصيبت باللامبالاة، فشلت الحملة، وضاع معها هدفها السامي، التي تريد، بل وتسعى، إلى تحقيقه.

(8) كيف أضاع الخليفة، الأموي الجديد في دمشق، محمداً، فضاع معه جميع ما فتحه المسلمون، وكسبوه، في "بلاد الهند والسند" رغم التضحيات الجسام، التي بذلت في ذاك السبيل.

(9) لعل هذا البحث قد يكون سدّ ثغرة في فتوحات الإسلام، ورجاله في الجبهة الجنوبية الشرقية، التي لم تحظ في نظري بالدراسة والتمحيص، كغيرها من الجبهات الأخرى.